

العدد الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الثانية

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة  
١٠ عن نصف سنة  
للطلاب وجنود الجيش  
٨٠ عن سنة كاملة  
٤٠ عن نصف سنة  
٢٥ عن ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

صاحب الإصدار

ورئيس التحرير

سيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

المسائل

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

ستة عشرة أعداد

يناير سنة ١٩٥٣

جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

قصص القرآن

آدم عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهي الخولي

أفق الملائكة

روى أحمد ومسلم — رضى الله عنهما — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :  
« خلقت الملائكة من نور ؛ وخلق الجن من مارج من نار ؛ وخلق الإنسان مما  
وصف لكم » .

ذاك حديث صحيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يذكر فيه الأصل الذى خلقت  
منه الملائكة والأصل الذى خلق منه الجن ، والأصل الذى خلق منه الإنسان ...  
وهو حديث جليل بعيد المرامي متعدد المعاني ، لا يريد به — عليه السلام — مجرد  
الإخبار عن الأشياء التى خلقت منها الملائكة والجن والناس ؛ إنما يريد إلى جانب  
ذلك الإشارة إلى ما وراءه ...

العدد الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الثانية

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة  
١٠ عن نصف سنة  
للطلاب وجنود الجيش  
٨٠ عن سنة كاملة  
٤٠ عن نصف سنة  
٢٥ عن ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

صاحب الامتياز

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع المنيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون: ٢٤٤٥٥

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

ستنها عشرة أعداد

يناير سنة ١٩٥٣

جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

قَصَصُ الْفُرَّانِ

آدم عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهي الخولي

أفق الملائكة

روى أحمد ومسلم — رضى الله عنهما — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: « خلقت الملائكة من نور ؛ وخلق الجن من مارج من نار ؛ وخلق الإنسان مما وصف لكم » .

ذاك حديث صحيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يذكر فيه الأصل الذى خلقت منه الملائكة والأصل الذى خلق منه الجن ، والأصل الذى خلق منه الإنسان ... وهو حديث جليل بعيد المرامى متعدد المعانى ، لا يريد به — عليه السلام — مجرد الإخبار عن الأشياء التى خلقت منها الملائكة والجن والناس ؛ إنما يريد إلى جانب ذلك الإشارة إلى ما وراءه ...

ولو كان — عليه السلام — يريد مجرد الإخبار والفائدة العلمية لاكتفى بذكر النور الذى خلقت منه الملائكة دون حاجة إلى ذكر الأصلين الآخرين ، فإن القرآن الكريم تولى تقريرهما تقريراً مؤكداً مكرراً فى غير موضع منه . .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم — إذاً — يريد شيئاً فوق الفائدة الإخبارية ؛ يريد أننا لنعيش فى هذا الكون الرهيب العميق وحدنا مع صنوف الطير والوحش والبهائم . ١ ويريد أن تقابل بين نوعين من الكائنات التى تحيا معنا فيه ، وتتصل بنا وتتصل بها ؛ ويريد بهذه المقابلة أن نختار لأنفسنا بين ما أصله نور ، وما أصله نار . . ١ . لا بد لنا من أصدقاء مؤنسين فى هذا الكون الغامض ، فمن أى النوعين نختار ذلك الصديق المؤنس ، والعشير الصالح ، والقرين النافع ؟ . . ١ . من الملائكة ، أو الجن ؟ . . ١ . من النور ، أو النار ؟ ١

ومما هو جدير بالملاحظة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو يتحدث عن الأصول التى خلقت منها هذه الأنواع — لم يذكر الأصل الذى خلق منه الإنسان ، واكتفى بذكر الأصلين الآخرين فقط ، كأنه يريد أن يركز الأذهان فى المقابلة بين هذين الأصلين وحدهما ، ويحصر الانتباه فى المقارنة بين النور الذى تألفه الطباع والنار المحرقة ؛ ليختار الإنسان صديقه وقربنه على علم وبينه . . ١

وما دام فى الإنسان آفاق نفسية تتسع للاتصال بالملائكة والجن ؛ فلينظر المرء أى قرين يحله من نفسه ، ويخلطه بكيانه من هذين النوعين : ملك أو جان ؟ . ١ . نور أو نار ؟ . . ١ .

### معنى السجود لآدم :

وأول ذكر للملائكة فى قصتنا الكريمة أنهم أول من اتصل بأبى البشر عليه السلام إذ سجدوا له بأمر الله عز وجل عندما نفخ فيه سبحانه من روحه . ومن البديهي أن هذا السجود لم يكن سجود عبادة ونسك ، فإن ذلك لا يكون لغير الله . . . إنما هو سجود تحية وتسكريم ومؤانسة ، وليس ضرورياً أن يكون سجوداً وضعوا له الجباه على الأرض كما نفعل فى سجودنا لله عز وجل ؛ فللسجود هيئات كثيرة تتنوع بتنوع أصناف الخلائق ؛ والله سبحانه يقول فى ذلك : « والنجم والشجر يسجدان <sup>(١)</sup> » ويقول على لسان يوسف لأبيه : « إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم

إلى ساجدين<sup>(١)</sup> .. ويقول : « والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون<sup>(٢)</sup> » ... ومن البديهي أن سجود الدواب ليس كسجود الملائكة ؛ وسجودها ليس كسجود الكواكب والشمس والقمر ؛ وسجود هؤلاء جميعاً ليس كسجود الشجر والزرع الصغير ، وهكذا ... ذلك إلى أن من معاني السجود في اللغة التطامن والتواضع ؛ يقول صاحب المصباح النير : « وسجد البعير : خفض رأسه عند ركوبه .. وكل شيء ذل فقد سجد . » فإذا كان في سجود الملائكة معنى الدل ، فليس هو ذل العبودية ، ولا الدل المضيع للكرامة ؛ إنما هو ذل التطامن والمودة الذي ترى شيئاً منه في قوله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وتراه فيما يتبادل به رحماء المؤمنين بينهم من انكسار الأخ لأخيه المؤمن الذي عبر عنه الحق تبارك وتعالى بقوله : « أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين » .

فهو سجود فيه معنى التحية ، والمودة ، وخفض الجناح ، والإقرار بالفضل ؛ قال القرطبي في الجامع : « وقال قوم : لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذي هو وضع الجبهة على الأرض ، ولكنه مُبَقَّى على أصل اللغة ، فهو من التذلل والانقياد : أي خضعوا لآدم ، وأقروا له بالفضل<sup>(٣)</sup> »

مركز تحقيق كاتبة علوم إسلامي

### خصائص النور :

وهذا النور الذي خلقت منه الملائكة ليس كنور الشمس ، ولا القمر ، ولا المصابيح ، ولا كأي نور نعهده ؛ بل هو نور من أمر الله لا سبيل إلى عقولنا وحواسنا إلى إدراكه أو تصوره ! . نور له من النور العادي خصائصه ومعناه ؛ وليس له هيئته وأطيافه ! . ومن غير المجدي أن نحاول الوصول إلى كنه الصورة أو الهيئة التي صيغ عليها الملائكة من هذا النور ؛ فذلك فوق طاقة عقولنا ، فضلاً عن كونه غير متعلق بأي نفع لنا في المعاش أو المعاد ... وحسبنا أن نعرف خصائصهم النورانية فقط ؛ فعلينا نقوم صلتهم بنا وصلتنا بهم ؛ وهي مصدر ما ينالنا منهم من خير في الدنيا والآخرة ... وتلك الخصائص إنما هي خصائص النور الذي صيغوا منه ؛ وقد قلنا إنه من أمر الله ، له من النور العادي خصائصه ومعناه ؛ وليس له هيئته وأطيافه ... فإذا تكلمنا



عن أوصافهم وخصوصياتهم فبلغ علمنا في ذلك هو مالنور العادى من خصائص ومعان ؛  
أما ماوراء ذلك فعلمه عند الله ...

فمن خصائص هذا النور ، التواضع ، إذ يستوى لديه أن يهبط إلى أسفل ، أو يصعد إلى أعلى ، أو يذهب في أى اتجاه آخر . . . وهى صفة تدركها إذا قارنت بينها وبين خصوصية النار التى تنزع إلى العلو والاستكبار ، والتطاول بالسنتها فى الجو إلى أبعد علو ممكن ؛ وسنعرض — إن شاء الله — لخصائص النار التى خلقت منها الشياطين لنرى أن استكبار الشيطان عن السجود لآدم إنما كان ذهاباً مع خصوصية من خصوصيات طبعه الموروث عنها ... فإذا ذكرت ذلك وقارنت بينه وبين تواضع النور أدركت أن سجد الملائكة لآدم عليه السلام إنما كان تعبيراً عن سجية من سجايا النور الذى فطرهم الله سبحانه منه .

ومن خصائص النور ، المؤانسة ، إذ يذهب الوحشة ويبث الطمأنينة ؛ وهى خصوصية لا تحتاج إلى شرح وإبانة ويستطيع القارى أن يدرك أثرها فى نفس آدم عليه السلام بالمقارنة بين الشيطان إذ أبى واستكبر ، وهدد وتوعد ، وبين الملائكة إذ بذلوا له تحيتهم وأقبلوا عليه بالمؤانسة والتواضع .

ومن خصائصه الرحمة ، إذ يجلو الظلام ويكشف كربه . . . وهى غير المؤانسة والتواضع — وإن كان الجميع يستقون من ورد واحد — فالظلام فى ذاته ما برح كربة ثقيلة ، سواء أ كان ظلاماً حسياً أم معنوياً . . . أما الظلام الحسى فكربه معروفة لمن جربوه فى كثير من الحالات ؛ وأما الظلام المعنوى فشر أنواعه هو ما يرين على القلوب من ظلمة الآثام ، وضباب الهوى والشهوة ، مما يحرم المرء ثمار النور الإلهى ، ويعرضه لشر العواقب وأفدح الضرر . . .

وللإنسان ذنوبه وجهالاته التى تثقل كاهله ، وتنقض ظهره ، وتورثه عمى البصيرة ، وظلام القلب ، ورهق العيش . . . وللملائكة بإزاء ذلك رحمتهم النورانية فيكربون لما ينال أهل الأرض من رهق وظلام وشقوة كأنما يحملون ما يؤودهم من أوزار مهلكة فيضرعون إلى الله جل شأنه أن يكشف عن عباده المؤمنين ما بهم من سوء ، ويحط عنهم ما يثقلهم من آصار الظلمة : يستوى فى ذلك ملائكة الأرض وملائكة السماء ، وحملة العرش وغير حملته ؛ وما أجمل ما تقرأ من ذلك فى كتاب الله عز وجل : « هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، وكان بالمؤمنين

رحمًا (١) « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ، ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم (٢) » .

ومن خصائص النور أنه حارس حفيظ ، إذا حل حلت معه الحراسة والحفظ ،

وإذا زال تعرض الإنسان لأنواع المخاطر والأذى . . .

ذلك قول يقال في النور العادي ، وفي النور الملكي . . . أما صدقه في النور العادي فواضح غير محتاج إلى بيان ؛ وأما صدقه في النور الملكي فإننا في ظلمات هذه الأرض معرضون لكثير من ضروب الأذى والمهلك ؛ منها ما كشفه الله لنا فتولينا مدافعة عن أنفسنا ؛ ومنها ما حجب عنا وتفرد سبحانه بعلمه ، وتولى حفظنا منه ، واختار لهذا الحفظ جندا من ملائكته ، وأخبر جل شأنه عن ذلك فقال : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله (٣) . . . » أي ملائكة من أمر الله يحرسونه ويتعاقبون على حفظه ؛ قال الإمام ابن كثير : ( أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه : حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات ... فهو بين أربعة أملاك بالنهار ، وأربعة بالليل : حافظان وكاتبان كما جاء في الحديث الصحيح : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار ؛ ويجمعون في صلاة الصبح ، وصلاة العصر ؛ فيصعد إليهم الذين بانوا فيكم ، فيسألهم - وهو أعلم بكم - كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناكم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون (٤) » ) اهـ . . . وقد لفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظارنا إلى ما يجب علينا لهؤلاء الرفقة الكرام من حسن الصلابة وكرم الأدب فقال : « إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الحلاء وعند الجماع ، فاستحيوهم وأكرمواهم » .

على أن هؤلاء الحفظة الكرام لا يقف برهم بك في الحراسة عند حد معين ؛ بل يذهبون فيها إلى أبعد مدى متصور يرجون عنده أن يحفظوك من بأس الله سبحانه ؛ قال الإمام الزمخشري في تفسير آية المعقبات السابقة : « أو يحفظونه من بأس الله وتقمته إذا أذنب بدعائهم له ، ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب (٥) » .

(٢) غافر - ٧ : ٩

(١) الأحزاب - ٤٣

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣

(٣) الرعد - ١١

(٥) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١٣٠ .

ونحن بهذا الاسترسال إنما نحاول أن نمهّد الذهن لمعرفة شيء عن أفق الملائكة ، وعلاقته بنا وعلاقته به . . . نريد أن نقر في الأذهان أن كيان الإنسان مُقدر في الأزل أو « صُنع » على أن يكون له نوافذ تطل على أفق الملائكة ؛ فوهب له الله سبحانه من الأسرار والملكات الروحية ما يقوم له مقام النوافذ ؛ فيها يطل على هذا الأفق ، وبها يتصل بمن فيه ، ويأنس ويتلقى . . . نريد أن يلتفت الإنسان إلى مواهبه ، وأن يعرف قدر نفسه ، وأن يفتح نوافذه كلها ، وآفاقه كلها ، ليطل منها على هذا الوجود كله ، ويخلص إليه من كل أفق : أريجيه ، ونسيمه ، وضوؤه ، ودفته ، وكل مقومات الصحة والحياة ؛ فإن القصر المغلق الأبواب والنوافذ إن هو إلا مقبرة خير ، منها الكوخ المتفتح لنعم الحياة . . . نريد أن يعرف الإنسان أن تلك المادية التي ضربت على ذهنه وروحه إن هي إلا المغاليق التي أغلقت نوافذه وأبوابه ، وعطلت مواهبه وملكاته ؛ فلا يطل على الوجود إلا من خلال ثقب ضيق لا يكاد يرى شيئاً منه ، ولا يكاد يخلص إليه شيء من خيرات وهباته . . . نريد أن يعرف أن الله إذ أخبره في قصة آدم أنه اختاره لمقام الخلافة ، جعل له في آفاق السكون الخفي أعواناً من النور وأصدقاء من الملائكة يبذلون له الود ، ويسعون له في البر ويحفظونه من السوء ، ويمنحونه كل عون ممكن على أداء ما أسند إليه . نريد أن يعرف هؤلاء الأصدقاء الكرام البررة ليتصل بهم ، ويأنس بودهم ، ويتلقى ما يريدون إلقائه له من نور وخير وتأيد .

ويطول بنا القول لو مضينا نحصى خصائص الملائكة ، وعلاقتها بنا ، وما لنا فيها من حظ جزيل ؛ فنكتفي -- بعد ما تقدم -- بخصوصيتين لهما أوثق الصلة بالخلافة التي أسندت إلينا .

أما الأولى : فهي أن النور مابرح سلاحاً من أسلحة الرجل المستقيم ، وعونا له على أعدائه الذين يريدون به الشر ، ويسعون فساداً في الأرض ؛ ولا شيء أثبت لجناحه بإزائهم من النور ؛ ولا شيء أخذل لهم وأوهن لعزمهم منه . . . بهذا قضت سنة الله في النور الحسى والنور المعنوى ؛ ولأمر ما جعل الله من الملائكة -- وهم من نور -- عوناً لأهل الحق على ما هم بصده من مجاهدة أعدائه ؛ فإذا ظهوروا عياناً فهم نور ظهر ؛ وإذا ظلوا في الخفاء فهم نور يسطع على السرائر الباطنة ، فيفرع منه أهل الباطل ويوجلون ؛ ويأنس له أهل الحق ويثبتون ؛ وإلى هذا المعنى يشير قوله سبحانه : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألني في قلوب الذين كفروا الرعب ،



فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان <sup>(١)</sup> » ... وفي الكتاب العزيز نصوص آخر تلم بهذا المعنى وتتوفر عليه ، ولكننا نجتزئ بما تقدم .

وأما الثانية : فهي أن من خصائص النور الهداية إلى الخير والنفع ... ولا شك أن أفضل الخير ، وأنفع النفع هو العكوف على الحق ، والاستمسك به ، والتزامه في كل لحظة ... فإذا التمت تلك الخصوصية في سلوك الملائكة ، ونهجهم الذي أخذوا أنفسهم به ، أغناك في ذلك ما وصفهم به الحق تبارك وتعالى من أنهم : « عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون <sup>(٢)</sup> » ، « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون <sup>(٣)</sup> » ، « لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون <sup>(٤)</sup> » .

ذلك هو أثر تلك الخصوصية فيما اهتدوا إلى الحق ؛ أما أثرها في هداية الناس ، وهو ماله أثر مباشر في الخلافة التي أسندت إليهم فيبدو من أن الله سبحانه آثرهم بحمل الوحي الخاص إلى رسله وأنبيائه لهداية الناس به ولا يحمل النور إلا رسل من النور ؛ والله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ...

ذلك هو شأن الملائكة في حمل الوحي الخاص بالرسول والأنبياء ... ولهم شأن آخر عام ، يتولون فيه هداية الناس كافة هداية جزئية ، إذ يحوم الملك على قلب المرء ليلقي فيه ما يشاء من النور والخير ؛ وتلك دقيقة من أمر الملائكة لا نستقل بذكرها ، ولا نخطب فيها بليل ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يكشف سرها ويجلو أمرها فيما رواه الترمذي وغيره من قوله : « في القلب لمستان : لمة من الملك : إيعاد بالخير وتصديق بالحق ؛ فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه ، وليحمد الله ... ولمة من العدو — الشيطان — : إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ؛ فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ ثم تلا قوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم <sup>(٥)</sup> » .

ومعنى أن للملك لمة في القلب ، أنه يلم به وينزل بساحته ؛ قال ابن الأثير في النهاية : « اللمة الهمة والخطرة تقع في القلب .. أراد إلام الملك أو الشيطان به والقرب منه ؛ فما كان من خطرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان »

(٢) الأنبياء — ٢٦ ، ٢٧

(١) الأنفال — ١٢

(٤) الأنبياء — ٩ ، ١٠

(٣) التحريم — ٦

(٥) قال الترمذي في جامعه هذا حديث حسن صحيح .



ولا شك أن الملك إذ يحوم حول القلب ويسطع عليه بنور الخير ، ويلقى فيه ما يشاء منه ، إنما يمضى فى ذلك مع سجية النور فيه ، وخصوصية الهداية التى أشرنا إليها .

\*\*\*

وبعد فتلك لمحّة عما يقال فى أفق الملائكة ، وما لهم بنا ، من صلة ؛ وما بيننا وبينهم من علاقة . . .

ولا شك أن الإنسان يسره أن يكون له فى هذا السكون أصدقاء أخفاء من هذا الطراز الفذ : يبذلون له الود ، ويحبون له الخير ، ويعدون ويرحون عليه بالحراسة والنصيحة والتأييد ، وإلقاء حوافز الحق فى نفسه . . . ويسره فوق ذلك أن يرى فضل الله سبحانه ، واحتفاء به ، وعنايته بأمره إذ رصد له فى عالم الخفاء تلك الأسرار التى تخنوع عليه هذا الخنو ، وتبره هذا البر ، وتحفه بكل تلك الهبات والنفحات . . . إنه فضل يشرح الصدر ، وينير القلب ، وتعظم به المنّة ، وينشئ فى الشعور طاقات من الفرح يتضاعف بها حق الشكر له سبحانه ، والثناء عليه جل شأنه . . . لكن ذلك الصدى الجميل الذى نجده فى نفوسنا حين نقرأ ما جاء به الإسلام عن أفق الملائكة ، ليس هو موضوع بحثنا ؛ إنما موضوعه هو تلك الملكة التى جعلتنا أهلاً للاتصال بالملائكة ، واتصال الملائكة بنا : تتجاوب بها وإياهم ، وتتجاوبون وإيانا ؛ وهى الملكة التى جعلت فى الإنسان أفقاً خاصاً ، أو جانباً من الإدراك العلوى نمتاز به — فيما نمتاز — مما على هذه الأرض من أنواع الحيوان ، وصنوف الطير والوحش وبهيمة الأنعام . . .

إننا فى هذا الباب نبسط أمامنا خريطة تكوين الإنسان ، أو خريطة « تصميمه » ، ونستعين بالقصة الكريمة على تقرير ما فى هذه الخريطة من آفاق ؛ وهذا الأفق الخاص بالملائكة هو أحدها ، وهو هدف هذا البحث ، ومحوره الذى يدور عليه ؛ ولعلنا نكون قد بلغنا فى إيضاحه مبلغاً تطمئن إليه النفس . . .

# مِنْ عِلْمِ السُّنَّةِ

في البيوع والكسب والمعاش وما يتعلق بالتجارة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا

(٦)

باب ما جاء في التساهل والتسامح في البيع والبرقاة ومنع النفاذ

هـ — وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ابْتاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ جَزُورًا أَوْ جَزَائِرَ<sup>(١)</sup> بِوَسْقٍ مِنْ تَمَرٍ الذَّخِيرَةِ<sup>(٢)</sup> . وَتَمَرُ الذَّخِيرَةِ الْعِجْوَةُ ، فَرَجَعَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَالتَّمَسَّ لَهُ التَّمَرُ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْنا قَدْ ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزُورًا أَوْ جَزَائِرَ بِوَسْقٍ مِنْ تَمَرٍ الذَّخِيرَةِ ، فَالْتَمَسْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ » قالت : فقال الأعرابي : وَاعْدِرَاهُ ، قالت : فَتَنَّمَهُ النَّاسُ ، وَقَالُوا : قَاتِلْكَ اللَّهُ أَيَعْدِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؟ قالت : فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « دَعُوهُ فَإِنْ لِحَاصِبِ الْحَقِّ مَقَالًا<sup>(٣)</sup> » ثُمَّ عَادَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْنا قَدْ ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزَائِرَ وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنْ عِنْدَنَا مَا سَمَّيْنَا لَكَ ، فَالْتَمَسْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ » فقال الأعرابي : وَاعْدِرَاهُ ، فَتَنَّمَهُ النَّاسُ ، وَقَالُوا : قَاتِلْكَ اللَّهُ أَيَعْدِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال رسول الله

(١) الجزور : البعير ذكرًا كان أو أنثى ، والجزائر : جمع جزور ، والمعنى أن الراوى يشك في كونه بعيرًا أو أكثر .

(٢) هو نوع من التمر معروف عند أهل الحجاز ، وفسره الراوى بالعجوة .

(٣) يريد بالمقال صولة الطلب وقوة الحجة .

صلى الله عليه وآله وسلم : « دَعُوهُ فَإِنْ لَصَحَبَ الْحَقَّ مَقَالًا » فردّد ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين أو ثلاثًا ، فَلَمَّا رَأَى لَا يَفْقَهُ<sup>(١)</sup> عَنْهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : « اذْهَبْ إِلَى خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَقُلْ لَهَا : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ : إِنْ كَانَ عِنْدَكَ وَسَقُ مِنَ الذَّخِيرَةِ فَأَسْلِمِيَنَاهُ حَتَّى نُوَدِّيَهُ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فَذَهَبَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ فَقَالَ : قَالَتْ نَعَمْ هُوَ عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَبْعَثْ مِنْ يَقْبِضُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلرَّجُلِ : « اذْهَبْ فَأَوْفِيهِ الَّذِي لَهُ » قَالَ : فَذَهَبَ بِهِ ، فَأَوْفَاهُ الَّذِي لَهُ ، قَالَتْ : فَمَرَّ الْأَعْرَابِيُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ؛ فَقَدْ أُوفِيَتْ وَأُطِيبَتْ<sup>(٢)</sup> ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أُولَئِكَ خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُؤَفَّقُونَ الْمُطِيبُونَ<sup>(٣)</sup> » .

٦ — عَنْ حُذَيْفَةَ (ابن اليماني رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا أَتَى اللَّهَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٤)</sup> ، فَقَالَ : مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا عَمِلْتُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَرْجُوكَ بِهَا ، فَقَالَهَا لَهُ ثَلَاثًا ، وَقَالَ<sup>(٥)</sup> فِي الثَّلَاثَةِ : أَيُّ رَبِّ كُنْتَ أُعْطَيْتَنِي فَضْلًا مِنْ مَالٍ فِي الدُّنْيَا ، فَكُنْتُ أَتَابِعُ النَّاسَ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي أَنْ تَجَاوِزُ عَنْهُ<sup>(٦)</sup> ، وَكُنْتُ أُيسِّرُ عَلَى الْمُؤَسِّرِ ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : نَحْنُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي ، فَفَقِرَ لَهُ ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ<sup>(٧)</sup> : هَكَذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(١) أى لا يفهم ولا يعرف لكلامه صلى الله عليه وآله وسلم معنى لفرط جهله به .

(٢) أى أعطيتنى حتى تاما طيباً برضاء نفس وطيب قلب .

(٣) أى الذين يدفعون ما عليهم تاما بسباح نفس وطيب قلب من غير كراهة ولا غضب .

(٤) أى يوم القيامة (٥) أى الرجل

(٦) أى عن المسال للفقير المعدم الذى لا يمكنه السداد .

(٧) البدرى الأنصارى ، وكان حاضراً بمجلس حذيفة رضى الله عنهما .

٧ — (وعنه من طريق ثان) قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن رجلاً ممن كان قبلكم أتاه مَلَكٌ لِيَتَبَيَّنَ نَفْسَهُ ، فقال له : هل عملت من خير ، فقال : مَا أَعْلَمُ ، قيل له : انظر ، قال : مَا أَعْلَمُ شيئاً ؛ غير أني كنت أبايع الناس ، فذكر نَحْوَهُ ، وفيه : فَأَدْخَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ » .

### باب من باع داراً أو عقاراً فلم يجعل ثمنها في مثلها

١ — عن رَجُلٍ مِنَ الْحَيِّ أَنْ يَعْلَى بْنِ سُهَيْلٍ مَرَّ بِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقال له : يَا يَعْلَى أَلَمْ أَنْبَأْ أَنَّكَ بَعْتَ دَارَكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ ، قال : بَلَى ، قَدْ بَعْتُهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ ، قال : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ بَاعَ عُقْرَةً <sup>(١)</sup> مَالٍ سَلَطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا تَأْلِفاً يَتْلِفُهَا <sup>(٢)</sup> » .

٢ — عن سَعِيدِ بْنِ حُرَيْثٍ (أَخِي لَعَمْرُو بْنِ حُرَيْثٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ بَاعَ دَاراً أَوْ عَقَاراً <sup>(٣)</sup> ، فَلَمْ يَجْعَلْ ثَمَنَهَا فِي مِثْلِهَا كَانَ قَيْنًا <sup>(٤)</sup> أَلَّا يُبَارَكَ لَهُ فِيهِ » .

٣ — وعن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يُبَارَكَ فِي ثَمَنِ أَرْضٍ وَلَا دَارٍ لَا يُجْعَلُ فِي أَرْضٍ وَلَا دَارٍ » .

(١) العقرة والعقرة بالضم أصل كل شيء ، وقيل هو بالفتح ، والمراد بالمال هنا الدار .

(٢) كره الشارع بيع الدار لأنها كثيرة المنافع قليلة الآفة ؛ لا يسرقها سارق ، ولا يصيبها ما يصيب المنقول ، ولأن مصير ثمنها إلى التالف إلا إذا اشترى غيرها فلا كراهة .

(٣) المقار بالفتح : الضيعة والنخل والأرض .

(٤) أي جديراً وخليقاً .



# الربا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

« أهدي هذا البحث إلى طلبة كلية الحقوق بدمشق »

( ١ )

١ - طلب إلى - في أثناء إقامتي في دمشق - زملائي الأكرمون أساتذة كلية الحقوق أن ألقى على الطلبة محاضرة في موضوع شرعي ، ولكن حال ضيق الزمان ، وملابس الأحوال دون إلقائها ؛ فحزمت من ذلك الأنس الروحي ، وذلك اللقاء العلمي ؛ ولقد طلب إلى بعد ذلك بعض أبنائي طلبة تلك الكلية الزاهرة بعلمائها أن أكتب بحثا يكون بيانا شافيا للربا تنشره مجلة « المسلمون » فتكون المنبر الذي ألقى منه محاضرتي بعد أن تعذر إلقاؤها بالخطاب ؛ إذ لم يسعني الزمان بلقاء الوجوه ، فيقوم لقاء القلوب مقامه ، وتتفاهم الأرواح إن عزّ لقاء الأشباح .

وإن من حق دمشق وطلبتها على أن أؤدي واجب العلم فيها بتلك الرسالة الفكرية ؛ فقد سعدت فيها عشرة أيام أو تزيد ، سعدت بلقاء أهلها ، الطيبة قلوبهم ، المستبشرة نفوسهم ، المشرقة وجوههم ؛ ثم سعدت فيها لأنها أشعرتني بلسان الفعّال والأحوال ، أن المسلمين أمة واحدة ، وأن العرب جماعة واحدة ، وأهل إقليم واحد ؛ وسعدت في دمشق بلقاء إخوان ارتبطت معهم بروح من الله ، ومحبة من نور الله ؛ ثم سعدت في دمشق ، لأن الله سبحانه جعل منها في هذا العام بقعة مباركة اعترف فيها الإسلام بإعلان الزكاة وسائر نظم التكافل الاجتماعي بين الملأ من العالمين ، وإقرار تلك النظم بالإجماع من حلقة المجتمعيين في الدورة الثالثة لحلقة الدراسات الاجتماعية التي انعقدت من ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ إلى العشرين منه .

لهذا كله حق على أن أجيب طلبة دمشق فيما طلبوا ، وألبي نداءهم ، وأرسلها من منبر تلك المجلة الزهراء تحية مباركة .

٢ — قد ورد أيها الأبناء الأعزة تحريم الربا في القرآن وفي السنة ، وأجمع على تحريمه السلف الصالح ، والعلماء المجتهدون من بعدهم ، وتضافرت القرون حقبة بعد حقبة على ذلك الإجماع ؛ وقد رضيت بالتحريم القلوب المؤمنة ، وتعلمت منه القلوب القاسية ، فاحترفت أحياناً عن القصد بالفعل الصريح ، وأحياناً بالتجامل ؛ وكلا الفريقين قد انخلع من الربة .

وإن تحريم الربا بالنصوص القرآنية واضح في ثلاثة مواضع : أولها : كان والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، وهو بين ظهرائي المشركين ، وذلك هو ما جاء في سورة الروم المكية ؛ فقد قال تعالى : « وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المضعفون » .

وترون من هذا أن النص يفيد استنكار المولى جلت قدرته وعلت حكيمته للربا ، وتحسينه للزكاة والبر ؛ وهذا يدل على التحريم بتضمنه ، وإن لم تكن الدلالة صريحة قاطعة .

الموضع الثاني قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ، واتقوا النار التي أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون »

وفي هذه الآية تصريح قاطع بالتحريم ، وبيان لقبيح الربا ، وما فيه من ظلم شديد ، فذكر أنه يؤدي إلى أن يأخذ الدائن الدين أضعافاً مضاعفة مما يأتي ؛ والقرآن الكريم في نهيه يصف المنهى عنه بأشنع أحواله ، وأشد ما يؤدي إليه لتنفّر النفس المستقيمة عنه ، وتبتعد القلوب العادلة عن مزاولته . وإن كون الربا يؤدي إلى أداء الديون مضاعفة واضح كل الوضوح في حال عجز المدين عن الأداء ، وتوالى ذلك العجز سنة بعد أخرى ؛ ثم تباع أملاك المدين بأبخس الأثمان . فتكون الخسارة مضاعفة في الدين وفي الأداء معاً . والدائن قد قبض ذلك من غير أي خسارة تلحقه ؛ فهو كسب من غير مقابل ، ومن غير عمل كادح ، فهو بالنسبة له غنم لا غرم فيه .

الموضع الثالث : قوله تعالى في سورة البقرة : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ؛ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه ، فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجروهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .  
 بأيها الدين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ؛ فإن لم تفعلوا  
 فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .  
 وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون »

وترون في ذلك النص الكريم التحريم القاطع الذى لا مجال للريب فيه ، وقد اقترن  
 التحريم بثلاثة أمور في هذه الآية الكريمة :

أولها : أن المشركين كانوا يحتجون في تسويغ الربا بأن الكسب فيه كالكسب  
 في البيع ، فكما أن الرجل يبيع ويشترى فيكتسب من فروق الثمن في البيع والشراء ،  
 فكذلك يدفع لغيره المال ، فيبيع ويشترى فيكتسب أو يشاركه في الكسب ، وإن  
 لم يتعرض للخسارة ، ومن جهة ثانية فإن الربا كالبيع من حيث إنه يبيع مؤجلاً بشمن  
 وحلاً بشمن ، فكذلك يجوز له أن يقبض الدين بعد الأجل أكثر مما أدى .

ثانيها : أن النهى عن الربا اقترن بالأمر بالصلاة والزكاة وذلك إشعار بأن ذلك  
 ركن من أركان الإسلام كالصلاة والزكاة ؛ وأن من ينكره فقد أنكر أمراً عرف من  
 الدين بالضرورة ، وأن منع الربا ركن الاقتصاد الإسلامى ؛ وأن الحضارة الإسلامية  
 حضارة فاضلة تقوم على منع ذلك الكسب الحبيث ، ولذا قرن النهى أيضاً ببيان أن من  
 يبيع الربا هو في حرب مع الله ؛ لأن دار الإسلام زهة عفيفة عن ذلك المال الحبيث .

ثالثها : أن الآية الكريمة حذت الربا المحرم بأنه ما يزيد على رأس المال ؛ فكل  
 زيادة مهما قلت ربا وكسب خبيث ؛ ولذا قال سبحانه : « فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم  
 لا تظلمون ولا تظلمون » .

٣ — هذه آيات كتاب الله الكريم التى تفيد تحريم الربا تحريماً قاطعاً لا شبهة فيه ،  
 وقد سجل في القرآن الكريم أن تحريمه من الأحكام المقررة في الشرائع السماوية ،  
 فقد سجل أنه حرم على اليهود أخذ الربا فأخذوه ، وذكر ذلك من أسباب غضب  
 الله عليهم ، فقد قال الله تعالى : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه »

ولما السنة فقد وردت الآثار فيها بالتصريح بتحريم الربا ، وبعضها تفسير للربا  
 الذى نص عليه القرآن الكريم وبعضها أتى بنوع آخر غير ما نص عليه في القرآن الكريم ؛  
 ومن الأول قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن ربا الجاهلية موضوع عنكم كله لكم  
 رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع أبداً به ربا عمى العباس

ابن عبد المطلب » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع ، فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »

ولقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى في صحيحه : « الربا فى النسيئة » وربا النسيئة هو الربا المنصوص على تحريمه فى القرآن الكريم ؛ وهو أن يزيد المدين فى الدين فى نظير التأجيل ، فهو زيادة بسبب النسيئة : أى التأجيل .

هذا بعض ما جاء فى السنة تفسيرا أو تأكيذا لما جاء فى القرآن من ربا محرم ، والسنة قد حرمت نوعا آخر وصمته ربا وهو الربا الذى يكون فى المبيعات ؛ وهى أشياء نص عليها النبي صلى الله عليه وآله وأوجب أن يكون البيع فيها بالمقابلة وبالمائة عند الاتحاد فى جنس العوضين ؛ وأوضح حديث نبوى فى ذلك ما رواه مسلم عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الذهب بالذهب مثلاً بمثل ، والفضة بالفضة مثلاً بمثل ، والتمر بالتمر مثلاً بمثل ، والبر بالبر مثلاً بمثل ، والملح بالملح مثلاً بمثل ، والشعير بالشعير مثلاً بمثل ؛ فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، يبيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد ، ويبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد ، ويبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد . » وترون أن هذا الحديث الشريف يبين نوعاً من الربا خاصاً ببيع أشياء معينة قد يقاس عليها غيرها كما سنبين ، وأوجب المائة فى المقدار عند اتحاد الجنس ؛ فبيع ذهب بذهب تجب المائة فى القدر ويجب القبض فى الحال ، وعند اختلاف الجنس لا تجب المائة فى القدر ، ولكن يجب القبض فى الحال ؛ فبيع الشعير بالقمح لا تجب فيه المائة فى القدر ، ولكن يجب القبض فى الحال .

وتسمى الفقهاء الزيادة عند وجوب المائة ربا الفضل ، ويسمى التأجيل عند وجوب القبض ربا النساء ، وهذان النوعان خاصان بربا البيوع الذى ذكرته السنة النبوية ؛ كما يسمى ربا الديون الذى ذكرنا أن القرآن الكريم أتى به ربا النسيئة ؛ وهو الزيادة فى الدين فى نظير الأجل .

٤ — ونريد أن نتجه فى هذا البحث — أولاً — إلى بيان الربا الذى جاء القرآن الكريم فى نصه القاطع بتحريمه ، وسماه العلماء الربا الجلى ، وهو الذى اتفق العلماء على تحريمه ؛ ومنكر تحريمه منكر لتحريم أتى به النص القرآنى القاطع ، فهو منكر لأمر علم من الدين بالضرورة ، ومنكر لأمر قرنه الله سبحانه وتعالى بالصلاة والزكاة ، فهو مثلهما فى الشرعية ، وهما من أركان الإسلام ، وقد قاتل أبو بكر من لم يؤد الزكاة ؛ واعتبر القرآن الكريم من يأكل الربا محارباً لله ورسوله



٥ - والربا الذي اشتمل القرآن على تحريمه كان معروفاً عند العرب وهو الذي كان يسمى عندهم ربا . أما الربا الذي بينته السنة وهو ربا البيوع فهو اصطلاح إسلامي ولم يكن معروفا عند العرب ؛ فتحريمه من النظم الاقتصادية الإسلامية ، وتسحيته اصطلاح إسلامي خالص ، بخلاف ربا القرآن فهو معنى لغوي كان معروفا عند العرب يتعاملون به ، فجاء القرآن وحرمه تحريماً قاطعاً ؛ ولذا عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم عند تحريمه بأنه ربا الجاهلية ، ولقد قال الجصاص في كتابه أحكام القرآن مانعه : « الربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به ، هذا كان التعارف المشهور عندهم<sup>(١)</sup> » ويقول أيضاً : « إنه معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرصاً مؤجلاً بزيادة مشروطه فكانت الزيادة بدلا من الأجل فأبطله الله تعالى وحرمه وقال : « وإن تبتم فلستم رؤوس أموالكم » وقال تعالى : « وذروا ما بقي من الربا<sup>(٢)</sup> » .

وإن ذلك النوع هو أشد أنواع الربا تحريماً ، وهو الجاري في التعامل بين الجماعات التي قام نظامها الاقتصادي على أساس ربوي ؛ وهو الربا الذي لم يختلف فيه العلماء من أقدم عصور الإسلام إلى اليوم ، حتى نبئت أفكار في رؤوس ربوية ، وعقول لا تعرف نظاما للتعامل إلا الربا ، وذلك في هذا القرن الأخير فقط .

وهذا النوع قال فيه الإمام أحمد إنه الربا الذي ثبت التحريم فيه قطعاً بطريق لاشك فيه ؛ فقد سئل رضى الله عنه عن الربا الذي لاشك فيه ، فقال هو أن يكون له دين ، فيقول أتقضى أم تربي ؟ فإن لم يقضه زاده هذا في المال ، وزاده هذا في الأجل . وبسميه العلماء الربا الجلى كما قلنا ، ويسمون غيره الربا الخفى ، ويقول ابن القيم : « الجلى ربا النسيئة ، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية مثل أن يؤخر دينه ، ويزيده في المال ، وكلما أخره زاد في المال ، حتى تصير المائة عنده آلافا مؤلفة<sup>(٣)</sup> » .

٦ - ولقد وجد من علماء الصحابة من لم يعتبر من الربا إلا ربا القرآن ؛ وهو ربا النسيئة كما نوهنا ؛ وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ربا إلا في النسيئة » . ولقد جاء في المغنى أنه حكى عن ابن عباس ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن أرقم ، وابن الزبير أنهم قالوا : ( إنما الربا في النسيئة لقوله عليه السلام : « لا ربا إلا في النسيئة » )

(١) أحكام القرآن ج ١ ص ٤٦٥ (٢) الكتاب المذكور ص ٤٦٧ .

(٣) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٩٩

والمشهور عن ابن عباس ذلك ، وقيل إنه رجع عن ذلك ، ولكن قال سعيد بن جبير عنه : « صحبت ابن عباس حتى مات فوالله ما رجع عن الصرف » أى عن قوله يجوز التفاضل في بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة مع القبض ، وقصر الربا على ربا النسيئة وهو ربا القرآن الكريم ، ويقول سعيد أيضاً : « سألت ابن عباس قبل موته بعشرين ليلة عن الصرف فلم يربه بأسا » .

وهكذا ترون أن ربا البيوع الذى جاء تحريمه بالسنة كان موضع خلاف ، أما ربا النسيئة الذى كان تحريمه بالقرآن فلا خلاف فيه قط ، وأنه الربا الشديد الغليظ الذى يحارب به للربابى الله ورسوله والمؤمنين ، وأنه الربا الكامل ؛ ولذا قال عليه السلام : « لا ربا إلا فى النسيئة » : أى لا ربا كامل إلا فى النسيئة .

٧ — وما كنا فى حاجة إلى الاستفاضة بالقول فى إثبات أن الربا المحرم فى القرآن هو الربا الذى كانت الزيادة فيه فى نظير الأجل ، لولا أن ناسا فى عصرنا تأثروا بتلك الحضارة الربوية التى قبست نظمها المالية من اليهود ؛ لأنهم المتحكمون فى أسواقها ، المسيطرون على نظمها ، وكان تأثر هؤلاء الناس بتلك الحضارة سبباً فى أن حاولوا تأويل القرآن ليخضع لها ؛ ومنهم علماء يتسمون بسمة الدين ، ومنهم رجال مال واقتصاد وهموا أن النظام الربوى ضرورة اقتصادية لامناص منها ، فاندفع هؤلاء وهؤلاء إلى نصوص القرآن الكريم يغيرون عليها بضروب من التأويل ، إن شئت أن تسميها عبثاً بمعانى القرآن الكريم فسحها ، وإن شئت أن تسميها إفساداً فى اللغة فسحها غير متخرج ولا متأثم .

ولقد استغل بعضهم أن ثمة خلافاً فى كلمة الربا فاندفعوا فى القول مشككين منحرفين عن الغاية والقصد ، ونسوا أن العلماء اختلفوا فى ربا الفضل والنساء : أى ربا البيوع الذى جاء فى السنة بيانه والذى هو اصطلاح إسلامى ، ولم يختلفوا قط فى الربا الذى حرمه القرآن ، وقد قال فيه إمام السنة أحمد بن حنبل : إنه الربا الذى لا شك فيه كما نوهنا .

وربا القرآن هو الربا الذى تسير عليه المصارف ، ويتعامل به الناس ؛ فهو حرام لا شك فيه .

٨ — ولقد ظهر فى أول هذا القرن ناس من المخلصين للإسلام يؤمنون بالمدينة الحاضرة ، وقد ظنوا أن من مصلحة القرآن أن يوفق بين نصوصه ، وبين التعامل الحاضر ، وقد أثر عنهم أقوال عابرة داعية إلى النظر البصير فى العقود الربوية أو التى يقول الفقهاء

فيها إنها ربوية . قد قالوا هذه الأقوال من غير أن يتقيدوا برأى معين ، أوفكرة معينة ، تنجاء من بعدهم يحاولون أن يثبتوا عليهم أنه أباحوا ربا المصارف أو ما يشبهه ؛ فادعوا - مثلا - على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده أنه قال ذلك القول ، ولكننا قد بحثنا عن قول معين له في ذلك فلم نجد له فيه قولا ، ومال تلميذه السيد رشيد رضا ميلا شديداً إلى إقرار بعض ربا المصارف ؛ ولكنه حاول وداور ، ولم يغه ذلك فتىلا ؛ ولو أننا سلمنا جدلا أن الشيخ محمد عبده أو غيره من معاصريه ، أو من جاءوا بعده قالوا مبيحين ربا المصارف ما تبعناهم وما أقنأنا لقولهم وزنا ، فلسنا نتبع الرجال على أسمائهم ، وما لأخذ قول في أمر نص عليه القرآن ، وأجمع عليه الصحابة الذين تلقوا بيان القرآن عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

٩ - وعلى الذين يؤمنون بالمدينة الربوية أن يفهموا حقيقتين لاشك فيهما :  
أولاهما : أن الإسلام في تحريمه الربا يقصد إلى بناء اقتصادى فاضل يقرر أن رأس المال لا يعمل وحده ، وأنه لا كسب من غير تعرض للخسارة ؛ وأن النظام الربوى يفرض مكسبا لرأس المال من غير عمل قط ، ومن غير تعرض للخسارة قط ، فلم يبيح أن التاجر أو المستغل يأخذ المقدار من المال ، ويدفع الربا بقدر معلوم ، خسر أو كسب .  
والحقيقة الثانية : أن العصر الحاضر ليست كل نظمته الاقتصادية قائمة على الربا ؛ ففي بلاد كثيرة من أرض الله الواسعة نظم لا تقوم على أساس من الربا ، ومنها ما قد يحى فيه رأس المال وزال ، ومنها ما حد من سلطانه ؛ فإذا جاء الإسلام وجعل لرأس المال سلطانا ولملكيته مقاما ؛ ولكنه لا يكسب وحده ولا يكسب من غير تعرض للخسارة ، فقد جاء بالطريقة المثلى التي لا وكس فيها ولا شطط ، وقد سلمت من الإفراط والتفريط ومن الظلم والمغالاة .

١٠ - والربا الذى حرمه القرآن هو كل زيادة في نظير الأجل ، سواء أكان القرض للاستهلاك أم كان القرض للاستغلال : أى سواء أكان القرض لمال ينفعه في شئونه من غير اتجاه إلى تنميته واستغلاله ، أم كان القرض للتنمية والاستغلال ؛ لأن النص عام ، ولأن ربا الجاهلية كما تثبته الوقائع التاريخية وحال العرب كان كله أوجله في القروض الاستغلالية . ولذلك فضل من البيان تؤجله مع بيان ربا الفضل والنساء إلى المقال التالى ، والله الموفق والعين ، والهادى إلى سواء السبيل .

( يتبع )

# الدستور الإسلامي

## فنظم الحكم والإدارة والاقتصاد والمال

للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي

الأستاذ بجامعة القاهرة

(٢)

### الكيان الحكومي للدولة الإسلامية

معلوم أن العناصر التي تتألف منها « الدولة » هي : شعب ، ورقة أرضية ، وسلطة منبعثة من هذا الشعب ، تكون ذات سيادة في هذه الرقعة بغير منازع أو شريك من دولة أجنبية .

وإذا طبقنا هذا التعريف على الأقطار الإسلامية تبين لنا أن في الأرض مجموعة من الدول الإسلامية ينطبق عليها هذا التعريف انطباقاً كلياً أو جزئياً . وهذا يانها بحسب ترتيبها الأبجدي : أفغانستان ، أندونيسيا ، إيران ، العراق ، باكستان ، تركيا ، سوريا ، شرق الأردن ، الكويت ، لبنان ، مصر ، المملكة العربية السعودية ، اليمن .

أما الأقطار الإسلامية التي حرّمها الاستعمار الأوروبي من عنصر السيادة المنبعثة من شعوبها حرماناً كلياً أو جزئياً فهي : تونس ، الجزائر ، مراکش ، السودان ، وبعض مناطق الجزيرة العربية الواقعة تحت الحماية البريطانية ، وبعض أقاليم إفريقيا الغربية الواقعة في قبضة الاستعمار البريطاني والفرنسي .

هذا بخلاف الأقليات الإسلامية ، الكبيرة العدد ، المنبثة في الصين وروسيا ، وبولنده ، وفنلنده ، ويوغوسلافيا ... الخ .

فالشعوب الإسلامية يتجاوز تعدادها ثلاثمائة مليون (١) .

(١) Information Almanac لسنة ١٩٥٢ الصادرة في نيويورك تضع التعداد على النحو الآتي : في أمريكا الشمالية ٣٢,٦٠٠ ، في أمريكا الجنوبية ١٣٩,١٥٦ ، في أوروبا ٣,٨٦٦,٠٠٠ ، في آسيا ٢٥١,٢٢٧,٣٤٧ ، في إفريقيا ٦٠,٣٥٩,٠٠٠ ، في جزر المحيط الهادي ٧٥,٠٠٠ ؛ فالجـمـوع ٣١٥,٦٩٩,١٠٣ .



فلأى قطر من هذه الأقطار أضع هذا الدستور ؟

إنى أضعه لكل دولة استكملت سيادتها — أو هي بسبيل استكمالها — وأضعه كذلك لكل قطر لم يستكمل تحرير نفسه من النير الأجنبي لليوم الذى يسترد فيه سيادته وحرية ، وأضعه أخيراً لمجموعة الشعوب الإسلامية منظوراً إليها كوحدة مؤتلفة . ذلك لأنى أرى أنه حيث يقوم الإسلام فى رقعة أرضية ، ويكون هو الدين الذى يعتنقه جمهور شعبها ؛ فثم وطن إسلامى ، وجزء من الدولة الإسلامية . وكل مسلم مواطن فى هذه الدولة الإسلامية الكبرى وإن اختلف موطنه المحلى ؛ فكل مسلم مدين أولاً بالولاء لموطنه المحلى هذا — وطنه الأصغر — ومدين بالولاء ثانياً لوطنه الأكبر : الدولة الإسلامية .

إذن الدستور الإسلامى يجب أن يضطلع برسم الكيان الحكومى للوطن الأصغر أولاً ، وللوطن الأكبر ثانياً : أى أن الدستور الإسلامى يجب أن يكون دستوراً مزدوجاً : دستوراً محلياً لكل دولة جزئية ، ودستوراً شاملاً للدولة الإسلامية الكبرى . أفى ذلك شك ؟ اقرأ الآيات القرآنية التى تعتبر المسلمين جميعاً إخوة ، وتجعل فى طليعة فرائضها قيام التعاون والتكافل بينهم ؛ فهذه الآيات فرضت التزاماً صريحاً على كل مسلم بحيث لا يتم إسلامه إلا بأداء هذا الالتزام . ولم تكن الدعوة إلى هذا التعاون والتكافل دعوة وجدانية عاطفية ؛ بل كانت فريضة إلزامية صيغت بصيغة الأمر الذى لا فكاك منه . وإذن فالمسلمون جميعاً أمة واحدة : فرض عليهم دينهم التعاون الكامل على صلاح أمرهم . والتعاون لا يتحقق بالألفاظ والتجنيات ؛ بل له تبعات ومسئوليات ، يجب على المسلمين كافة النهوض بها . ولا سبيل إلى النهوض بتبعات هذا التعاون إلا إذا نظمت الأساليب التنفيذية للاضطلاع بها — وإلا بقى التعاون فى حيز التنى اللفظى الذى لا جد فيه — تنظيمًا يتطور فى أوضاعه بحسب نمو استعداد البيئات الإسلامية ، وبحسب مقتضيات كل عصر .

والمسلمون جميعاً أمة واحدة : فرض عليهم دينهم التكافل بين قويمهم وضعيفهم . تكافلاً بين الأفراد وتكافلاً بين الشعوب . ولم ينجح الاستعمار الغربى فى استعباد بعض الشعوب الإسلامية إلا بعد أن حطم أواصر هذا التكافل .

والتكافل بين القوى والضعيف ليس معناه أن يسيطر الأول على الثانى ، أو يلتهم أراضيه ، أو يطويه تحت جناحه طياً للتبوع للتابع ؛ فالمسلمون مهما تفاوتوا فى القوة

سواسية ؛ بل معناه أن يهب القوى إلى إنجاد الضعيف وإتقاده من عادات الزمن ومن الغير الأجنبى ، بغير أجر يبتغيه أو مغنم يرتجيه .

والتكافل إذا أريد تحقيقه على هذا الوجه يقتضى تنظيماً سابقاً وإعداداً مفصلاً .

كيف يكون هذا التعاون والتكافل ؟

أىكون ارتباطاً تهز به جوانح الأمم الإسلامية كلها أمت بإحداها كارثة ، فتضنى عليها أخواتها معسول القول وحلو المواساة ، أو على الأكثر يتقدمن إليها بمعونات عاجزة هزيلة لا تجدى فى دفع البلاء .

أم يكون تعاوناً وتكافلاً قد رسمهما تنظيم سابق ، على نسق مسنون ، وإطراد محدود ، أعد للأحداث عدتها ، واستقصى للكارثات أسبابها ، ومنع بالعلاج الناجع توليدها للكارثات ، فإذا وقعت بغتة بغير نذير كان متأهباً تأهباً مادياً لكسر شررتها وإحباط أذاها ؟ هذا التنظيم السابق هو ما أسمىه : دستور الدولة الإسلامية الكبرى ؛ وهو القمة فى بنيانها الحكومى .

أهداف هذا الدستور هى تحقيق تعاون وثيق وتكافل ناجز بين الدول الإسلامية فى السياسة لاقتصادية والسياسية الدفاعية .

فإذا فرض هذا الدستور على الأقطار الإسلامية جميعاً سياسة اقتصادية مشتركة ، متعاونة فى مواردها ، متكافلة فى إمكانياتها الإنتاجية ، فإنه لا يلبث بعد بضع سنين أن يبدل فقرها رخاء وعسرها يسراً ، ويقضى على شهوات الاستعمار الاقتصادى الغربى فيها ، ذلك الاستعمار الذى هيمن على اقتصاديات الأقطار الإسلامية قطراً بعد قطر ، وابتز خيراتها ، وترك لشعوبها الفتات ؛ فأعجزها عن النهوض من الهاوية التى ساقها إليها ؛ ثم لىكى يستبقى مغنمه منها سعى إلى بسط سلطانه السياسى عليها ؛ فوقعت الشعوب الإسلامية بين شقى الرحى : استغلال اقتصادى من تحتها ، واستعمار سياسى من فوقها .

وإذا فرض هذا الدستور على لأقطار الإسلامية جميعاً سياسة دفاعية مشتركة : سياسة متعاونة فى إنتاج العتاد الحربى ، متعاونة فى إمكانياتها الصناعية وفى مواردها المالية والبشرية ، متكافلة فى دفع أى عدوان على إحداها ؛ فإنها تصبح يومئذ قوة عالمية يتردد أى معتد فى المساس بشبر من أراضها ؛ بل إن القوى العالمية الأخرى — المتنافسة المتناحرة — سوف تهزول إلى استرضائها ، وخطب ودها .

وهكذا تصل الشعوب الإسلامية إلى تحقيق حريتها الاقتصادية ، واستكمال حريتها السياسية ، إذا التزمت دستوراً كهذا يفرض عليها جميعاً هاتين الفريضتين .  
وبعد فهذا نطاق دستور الدولة الإسلامية الكبرى ، وهي التي أرى أن تكون القمة في الهرم الحكومي الإسلامي .  
وهذه القمة تسندها كالبنيان المرصوص جميع الدول الإسلامية ؛ ولكل منها دستورها المحلي .

هذه الدساتير المحلية تتشابه وتتفاوت :  
تتشابه في وجوب اهتدائها بأصول الحكم الإسلامي ، وفي وجوب انسجام أحكامها مع المهدفين الذين يبتغيها دستور الدولة الإسلامية الكبرى : التعاون والتكافل في السياسة الاقتصادية والدفاعية .  
وتتفاوت في مدى تنفيذها لأصول الحكم الإسلامي . فهذه الأصول تختمل في التطبيق أوضاعاً متعددة متفاوتة ؛ فلتختار كل دولة الوضع الأكثر ملاءمة لبيئتها ، والأكثر انساقاً مع تكوينها الجغرافي ، والأكثر تجاوباً مع الاستعداد السياسي لشعبها .  
على أن يتسع كل دستور لإجراءات تعديله : من وضع أدنى إلى وضع أعلى ، كلما تطورت ملبسات البيئة ، وارتقى استعداد الشعب .

\*\*\*

والآن أبدأ برسم الخطوط الرئيسية لدستور الدولة الإسلامية الكبرى ،  
أو « الدولة الإسلامية المؤتلفة » .  
وهذا يقتضى منا مبدئياً أن نحدد كيان هذه الدولة .  
المهمة التي تتولاها هذه الدولة هي — كما قدمنا — توحيد السياسة الاقتصادية والسياسة الدفاعية للدول الإسلامية ، وتنظيم وسائل التعاون وأساليب التكافل بينها جميعاً . وعلى ضوء هذين المهدفين يتحدد كيانها .

ولست من المؤمنين بالطرفة ، ولكنني أومن بوجوب التدرج والتطور .  
فالدولة المؤتلفة في الفقه الدستوري قد تكون من طراز الدولة « المتعاهدة » (Confederation) ؛ التي تتألف من دول متعددة تحتفظ بذاتيها واستقلالها ، وبسيادتها الداخلية والخارجية كاملة ، ولكنها تتحد معاً في تحقيق هدف أو أهداف معينة ، وتتخذ معاً من النظم ما يمكنها من بلوغ هذه الأهداف ، وتعمل معاً في نطاق هذه الأهداف كأنها دولة واحدة ؛ وفيما عداها تسترد حريتها كاملة في الميدان الدولي .

وهذا أضيق أوضاع الائتلاف ؛ ومن صوره القديمة التعاهد الألمانى (German Confederation Deutsch bund) ، ومن صوره الحديثة الكومينولث البريطانى (British Commonwealth) .

أو قد تكون من طراز الدولة « الاتحادية » (Federation) التى تتألف من دول متعددة تتحد فى دولة واحدة ، فتكون كالأعضاء فى جسم واحد ، يتنازل كل عضو عن سيادته الخارجية برمتها ، وجانب معين من سيادته الداخلية لهذا الجسم المشترك : « الدولة الاتحادية » . ومن صوره الحاضرة : الولايات المتحدة الأمريكية ، واتحاد الجمهوريات السوفيتية ، والجمهورية السويسرية .

فأى هذين الوضعين نختاره للدولة الإسلامية المؤتلفة ؟

الإسلام لم يأمر المسلمين إلا بالتعاون والتكافل ، ولكن لم يقدم بوضع حكومى معين لتحقيق هذين المطلبين ، بل ترك لهم الحرية فى اختيار الوضع الذى يلائم ظروف زمنهم ومقتضيات عصرهم ؛ فالوضع الذى يكفل هذه الملاءمة ، ويعقق المصلحة الراهنة ، يكون أجدر الأوضاع بالاختيار .

والمطلع على الظروف الداخلية والخارجية التى تكثف الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية فى العصر الحاضر لا يسهه إلا التسليم — على كره منه — بأنها لم تنضج بعد لاختيار الوضع الاتحادى الكامل (Federation) . فالوعى الإسلامى المشترك لا يزال فى بداية البعث ، والعصبية المحلية لها حمايتها فى الداخل ، كما تفد إليها من الخارج روافد فى ثوب الثقافة الغربية المنطبعة بطابع الأنانية الوطنية ، كما تغزوها تيارات دافقة من الدسائس الاستعمارية . وكل هذه العوامل تتكاثف معاً على تفريق الشمل ، وإذكاء العصبية الإقليمية .

أما الوضع الثانى : الوضع التعاهدى أو الاتحادى المحدود النطاق Confederation فأعتقد أنه قريب للنال ( على أن يكون الوضع الأول هو خاتمة التطور ونهاية المطاف ) .

فالدول الإسلامية بحسب مستوى النضوج الذى بلغته الآن لا تمنع فى أن تعهد إلى هيئة حكومية مشتركة تمثلها جميعاً بمهمة تنسيق سياستها الاقتصادية والدفاعية بما يحقق التعاون الوثيق والتكافل الناجز بينها ، مع احتفاظ كل منها باستقلالها الكامل إلا فيما يقتضيه العمل على تحقيق هذين الهدفين .

هذه الهيئة الحكومية المشتركة التى تتألف من ممثلين لجميع الدول الإسلامية —



بعدد متساو من الدول الكبيرة والصغيرة على السواء — تتخذ لها مقراً ثابتاً في إحدى العواصم الإسلامية ، تستقر فيه بأداتها الفنية والإدارية والسكرتارية ، وتجتمع في دورة سنوية بالعواصم الإسلامية بالتناوب ، ورأسها رئيس ينتخبه الممثلون لمدة عام واحد ، ينتخبونه في نهاية كل دورة لرئاسة الدورة التالية ، ويكون هو خليفة رسول الله في الأمة الإسلامية جمعاء ، ولا حرج في تجديد انتخابه سنة بعد سنة إذا أجمع الممثلون على هذا التجديد .

هذه الهيئة الحكومية المشتركة يتقدم لها الممثلون ببرامج دولهم الاقتصادية — البرامج التي أقرها برلمان كل دولة — فتدرس الهيئة هذه البرامج ، وتواجه بعضها ببعض ، فيكشف لها النقص في مورد معين عند دولة والفائض منه عند دولة أخرى فتشير بتكملة هذا النقص من ذاك الفائض ، ولا تلجأ إلى الخارج وتستجديه في أي مورد — مادي أو بشري — إلا إذا انعدم هذا المورد عند الأعضاء جميعاً ، وتمضي في سد الثغرات في اقتصاديات دولة بالزيادة الحاصلة في إمكانيات دولة أخرى . كل هذا يجري في نطاق تبادل المنافع بين الأعضاء ، وتزكية الإنتاج المشترك (١) .

وعلى هذا النحو يتحقق التنسيق والتوازن والتوحيد في السياسة الاقتصادية للدولة الإسلامية المؤتلفة .

والتوجيهات التي تصدرها الهيئة على هذا النحو تلتزم الدول الأعضاء بتنفيذها التزاماً دستورياً ، وتعديل برامجها الاقتصادية بما يطابقها .

يومئذ يقف العالم الخارجي منا موقف المستجدي لمواردنا في مقابل ما ينقصنا من موارده ، ويتقرر هذا التبادل عن طريق الهيئة الحكومية المشتركة فلا يتحكم بحجروته في دولة إسلامية منعزلة كما هو حاصل الآن .

وقلت إن للهيئة الحكومية المشتركة أداة فنية ؛ هذه الأداة الفنية تضم طائفة من الخبراء العالميين في كل فرع من فروع الإنتاج ، سواء كانوا من الأقطار الإسلامية أو من خارجها ؛ فالاستعانة بالعلماء من أي موطن تقليد إسلامي متواتر .

(١) وهذا ما يعبر عنه في العرف الاقتصادي الحديث :

(pooling of resources, mutual preferential treatment)

وطى هذا النمط من التنسيق والتوازن والتوحيد يكون رسم السياسة الدفاعية المشتركة للدولة الإسلامية المؤتلفة .

\*\*\*

هذه هى الخطوط الرئيسية التى يجب أن يصوغها دستور الدولة الإسلامية الكبرى .  
بقى أن نرسم الخطوط الرئيسية فى الدستور المحلى للدول الأعضاء بأوضاعه المختلفة ، ثم  
ننتقل إلى صياغة مواد الدستورين ، مع التعليق على حكم كل مادة بما يفصله ويبرره ،  
ويرد اعتراض المعارضين ، ونحسم شكوك المرتابين .  
فإلى المقال القادم بإذن الله ؟



### مدينة أوروبا فقيرة وانية بجانب مدينة الإسلام

قال الفيلسوف الألماني « نيتشه » أحد عظماء أوروبا فى القرن الماضى :  
« لقد حرمتنا المسيحية ميراث العبقريّة القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الإسلام ،  
فقد ديس بالأكدام تلك المدينة العظيمة : مدينة الأندلس المغربية ؛ ولماذا ؟ لأنها نشأت  
من أصول رفيعة ، ومن غرائز شريفة . نعم من غرائز رجال ! تلك المدينة لم تنكر  
الحياة بل أجابتها بالإيجاب ، وفتحت لها صدرها ، وقد قاتل الصليبيون تلك المدينة بعد  
ذلك ، قاتلوها وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب ويعبدوها . وما مدينتنا فى  
هذا القرن التاسع عشر إلا فقيرة وانية بجانب مدينة الإسلام فى ذلك الوقت » .

# المثل الانساني الأعلى

لأبي نعمان المهاجر

نحن نعيش معشر المسلمين اليوم في لجة مظلمة من الحيرة، والاضطراب، والتبليبل في كل أمر من أمورنا، سواء أكان هذا الأمر يرجع إلى السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد، ذلك أننا لسوء حظنا لم ننتبه من سباتنا الطويل إلا بعد أن سبقتنا الأمم الإفرنجية إلى اليقظة بمئات السنين، وبلغت من الرقي في كافة شئون الحياة شأواً بعيداً، فراعنا أن نجد بيننا وبين هذه الأمم هذا التباين الهائل؛ فساء ظننا بأنفسنا وبمقدرتنا وبتراثنا التاريخي لأننا حينما نضطر إلى المقارنة بيننا وبين الأمم المتحضرة نجدنا متخلفين عنها في كل مظاهر الحياة المحسوسة المشاهدة، ثم لا نعلم عن تراثنا التاريخي ما يجعلنا نؤمن أنه يستطيع أن يقوم — بعد أن أصبح مجرد ذكرى لعهد سحيق — في وجه الحضارة الإفرنجية المعاصرة التي نلص آثارها في كل ما نشهده لهذا العصر من أسباب التقدم والعمران. فكان من مغبة ذلك أن أصبحنا نضطر إلى تقبل كل ما تفيضه علينا هذه الحضارة، ولسكننا مع ذلك نتقبله في شيء كثير من الحيرة والتذبذب شاعرين بأن بناء هذه الحضارة أنفسهم لا يزالون في كثير من قيمها مختلفين مترددين، وكان هذا الشك الذي يسود أوضاعنا ويدمر قوانا جديراً بأن يصرفنا عن خطة التقليد الأعمى التي سيرتنا فيها الظروف، ويحملنا على انتهاج الخطة الطبيعية التي تقتضيها سنة التطور بالنسبة إلينا.

لقد أثبتت الحضارة المادية أنها خطر على نفسها، خطر على البشرية مستطير، كما أثبتت أنها عاجزة عن إخضاع النزعات الشريرة في الإنسان سواء بالنسبة إلى علاقات الأفراد بعضهم ببعض، أو علاقات الأمم فيما بينها، وإن كان ما يسمى بالضمير الإنساني قد أصبح في عداد الخرافات، مادام أنه يستند إلى المصلحة المادية وحدها، ذلك أن من طبيعة المادة أن لا توجد إلا الفرقة والاختلاف، وأن لا تنجب إلا الدم الحربة، والضماير المسمومة، وبذلك صارت محاولة إيجاد مجتمع إنساني مثالي عن طريق التربية المادية البحت أمراً يتناقض مع منطق التجارب البشرية أشد التناقض؛ وحينئذ فعلى الأمة

الإسلامية التي أنجبها الإسلام وتاريخه وتعاليمه أن ترجع إلى نفسها أثناء هذه الغيوبة اللاشعورية التي تسوقها في طريق التقليد ، وأن تتجه إلى تعاليم دينها ، وأن تصل حاضرها بماضيها ، بعد كل هذه العبرة التي تعرضها علينا الحضارة المادية الحديثة التي توشك أن تحترق وأن تنهار ، ولعمري لو فعلت ذلك لأوشكت أن تُخرج للعالم المثل الإنساني الكامل ؛ وهذا القرآن الكريم يسجل هذه الحقيقة الخالدة ويصور لنا المثل الأعلى للإنسانية فيقول :

« إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » .

فمناصر الإنسان الكامل في هذه الآيات الكريمة أربعة :

أولاً : الخشية من الله التي تبلغ بصاحبها أن يملك في كيانه الذاتي الداخلي رقابة إلهية دائمة تحول بينه وبين الإقدام على أمر يغضب الله ، ويوصل الشر والأذى إلى عباده ؛ وهذا عنصر لا يمكن أن يتوفر في الحضارة المادية بأية حال من الأحوال ، كما أنه لا يمكن أن يكون إلا نتيجة للعنصر الثاني ، وهم :

— الإيمان بآيات الله ؛ فمن لا يعرفها المعرفة الصحيحة الناضجة لا يستشعر الخوف الصادق ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى في آية أخرى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . ذلك لأن الخوف الذي لا يستند على التفكير الصحيح والعرفان بآيات الله والإيمان بها قد يكون خوفاً ناشئاً عن تصور للألوهية خاطيء يشبه أن يكون خوفاً من الأوهام الخرافية ، وهذا الخوف لا يتأتى منه الإصلاح المنشود للضمير الإنساني ؛ لأنه لا يربى ملكة التفكير الناضج في الخير والشر كما يربى الإيمان الداعي بإله حكيم عادل متصف بصفات الكمال ، والتاريخ شاهد عادل على ذلك ؛ فإن الإيمان بالآلهة الخرافية الزائفة ما كان يمنع أصحابه من ارتكاب أشنع الجرائم والموبقات .

لذلك يأتي العنصر الثالث من عناصر الإنسان الكامل وهو قول الله سبحانه :

« والذين هم بربهم لا يشركون » وليست العلة في تحريم الشرك أنه يضعف إيمان صاحبه ، كلا ، فإن من ضروب الإيمان الخرافي الشرك ما يكون قوياً أشد القوة ، راسخاً أعظم الرسوخ ؛ ولكن العلة أن الإيمان بالله إيمان بإله جمع كل صفات الكمال التي يتصورها العقل البشري ، فهو يريد من عباده أن يتساموا بأخلاقهم وصفاتهم إلى مرتبة لا تكون مناقضة لصفات الكمال الإلهية التي يتصف بها الله ، ولذلك جاء في الحديث الشريف : « تخلقوا بأخلاق الله » .



ولكن ما دام أنه قد ثبت أن الله سننا في هذا العالم لا يريد الله جل وعلا تغييرها كما لا يريد أن يدفع عباده إلى طاعته بالقوة والقهر ، وأنه تعالى يعلى على الكافرين الملحدون ولا يعجل لهم العقوبة الدنيوية دائماً ؛ فلا بد حينئذ من العنصر الرابع للمثل الإنساني الأعلى وهو ما أثبتته الآية الكريمة : «الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » إذن خشية الله الآن يجب أن تتمثل في شكل خوف من حساب واقع عسير يؤديه الإنسان بين يدي مولاه يوم يرجع إليه ، وينال عليه جزاءه الأوفى : « إن خيراً غير ، وإن شراً فشر » .

ولا ريب أن الإيمان بالرجوع إلى الله يوم البعث نتيجة محتتمها الإيمان بالله ؛ إذ أن من يتصف بصفات الكمال ، ويبدع الخلق والنظام ، لا يمكن أن يترك هذه الدنيا المنظومة المتناحرة ، الباغى بعضها على بعض بدون آخرة تحاسبها وتقص منها . فإذا اجتمعت هذه العناصر الأربعة في المؤمنين فقد اكتمل حينئذ إيمانهم وتم ، وصارت جدواه وتمرته أمراً واقعاً لا محالة ، وأصبح الذين يتصفون به هم هداة الإنسانية وهم رحماؤها ، وهم المثل الأعلى لمجموعاتها . وهم الصفوة الإنسانية المنتجة المتقاة ، « أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون »

### النكبات

« ما أشبه النكبة بالبيضة : نحسب سجناً لما فيها وهي تحوطه وتريه ، وتعينه على تمامه ، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة ، والرضى إلى غاية ، ثم تنقف البيضة فيخرج خلقاً آخر » .

# ثروة الاسلام لفقهية

هل ينقص من قدرها اختلاف الاجتهادات فيها وصيغتها الدينية؟ !!

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا

أستاذ الحقوق المدنية والتريعة الإسلامية في كلية الحقوق بدمشق

ضرورة اختلاف الاجتهادات وفيمتها :

بعض المتوهمين ممن لا علم عندهم ولا بصيرة لهم يظنون أن اختلاف الاجتهادات في الفقه الإسلامي تقيصة ، ويتمنون لو لم يكن إلا مذهب واحد . وقد يذهبون إلى أبعد من هذا في أوهامهم فيرون أن اختلاف المذاهب قد يوم تناقضا في المصدر التشريعي لها !!  
ودفعنا لهذا الوهم الفاسد نقول : إن الاختلاف المذهبي الشائن المستكره الذي ليس له في الأمة إلا سيئات الآثار إنما هو الاختلاف في العقائد .  
أما الاختلاف الفقهي في الأحكام العملية المدنية فهو من المفاخر والذخائر ؛ لأنه ثروة تشريعية كلما اتسعت كانت أروع وأنفع وأنجع .

فإن معنى هذا الاختلاف هو تعدد النظريات والمبادئ ، والطرائق الحقوقية في استمداد الأحكام وتقريرها . وهذا يجعل الأمة في غنى من تشريعها لا يضيق بها عن حاجتها ؛ شأنها في ذلك شأن من له في بيته مقاعد من مختلف الأوضاع والارتفاع ، فإذا تعب من قعوده على أحدها استراح بالانتقال إلى سواه .  
فهكذا حال المذاهب الفقهية في التشريع الإسلامي .

يقول الإمام أبو إسحق الشاطبي في كتابه الاعتصام : ( روى ابن وهب عن القاسم بن محمد أيضا قال : أعجبنى قول عمر بن عبد العزيز : « ما أخب أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلفون ؛ لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق ، وأنهم أئمة يقتدى بهم ، فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنة » .

ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه ، لأنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق . فوسع الله على الأمة بوجود الحلاف الفروعى فيهم ، فكان فتح باب للدخول في هذه الرحمة ( ١ ) هـ .

ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة تعليقا على ذلك :

« ولقد كان اختلاف الصحابة في الفروع رائده الإخلاص ؛ ولذا لم يكن بينهم تنازع في الفقه ولا تعصب ، بل طلب للحقيقة وبحث عن الصواب من أى ناحية أخذ ، ومن أية جهة استبان .

وإن ذلك الاختلاف كان فيه شحذ للأذهان ، واستخراج للأحكام من القرآن ، واستنباط قانون شرعى عام ، وإن لم يكن مسطوراً .

... ونحن لا نرى الحلاف في الفروع إلا ثمرات ناضجة لما بثّه القرآن الكريم والسنة النبوية في نفوس الناس من البحث بعقولهم وتدير شئونهم بالشورى ومبادلة الرأى ، مستضيئين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومستظلين بأحكام القرآن » ( ٢ ) هـ .

هذا ، وإنا نرى اليوم علماء الحقوق من الإفرنج يتباهون بما انحدر إليهم في ميراثهم التشريعى عن الرومانيين من آراء ، ونظريات مختلفة مأثورة عن فقهاء الشرع الرومانى وشراحه ، ولا يعدون تلك الآراء المختلفة من النقائص أو النقائص التى يتمنون ألا تكون في ميراثهم التشريعى ، بينما لا يعد الفقه الرومانى على سعته إلا شيئا يسيرا ، وغرضا من فيض بالنسبة إلى ما أورثناه الاجتهادات من فقه الشريعة الإسلامية .

وهذا الاجتهاد الفقهي نتيجة ضرورية لا يمكن أن لا تكون مادام للعلماء نظرات لا تتحد ، وأفهام لا تتفق .

وهو لا يدل على تناقض في المصدر التشريعى المستنبط منه ، كما لا تدل اختلافات آراء المحاكم في معنى مادة قانونية على تناقض فيها ؛ وإنما يدل على مرونة النص ، وسعة قابليته التطبيقية .

على أنه إذا كان الوضوح الصريح في المادة القانونية الفرعية أحسن وأصون ،

( ١ ) الاعتصام ج ٣ ص ١١

( ٢ ) مقدمة ( الملكية ونظرية العقد ) للأستاذ أبى زهرة ، ف / ١٣ / ص / ١٩ — ٢٠

فلا شك أن اللزوم في المصادر الأساسية الدستورية التي تستند إليها المواد القانونية الفرعية هو الأفضل ، ليمكن أن تصاغ على أساسها القوانين والأحكام بحسب الحاجة .

وإن تعدد الاحتمالات في معاني النصوص الأساسية في الشريعة مع تشعب وجوه القياس يجعلان اختلاف الاجتهادات حتماً مبرماً مع كونه نزوة قيمة<sup>(١)</sup> .

وإيضاحاً لضرورة هذا الاختلاف الفقهي ولقيمته لضرب المثليين التاليين ؛ أحدهما لتعدد وجوه فهم النص ، والآخر لتعدد وجوه القياس في حكم القضية الواحدة :

(١) جاء في آية المداينة من القرآن بعد الإرشاد إلى توثيق العقود والديون بالكتابة والشهود قوله تعالى : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة » فلكمة « مقبوضة » هل هي وصف يفيد الشرطية ، فدل على أن قبض الرهون شريطة شرعية في عقد الرهن ، فلا يتم الرهن بدونه نظراً لغايته التوثيقية ، لأن الرهن غير المقبوض لا يوثق بتحصيل الدين ، وبذلك يفترق الرهن عن نحو البيع الذي يتم بمجرد العقد بلا حاجة إلى قبض المبيع في مجلس العقد ؟ ( وهذا ما عليه الاجتهاد الحنفى والشافعى ) .

أو أن ذلك الوصف لا يفيد شرطية القبض لأجل لزوم عقد الرهن في حق الراهن بل لأجل تمامه ، فينقصد لازماً في حق الراهن قبل القبض ، ويجبر قضاء على تسليم المرهون إلى المرتهن إذا امتنع ؟ ( وهذا ما عليه الاجتهاد المالكي ) .

ثم من جهة أخرى : هل الغاية من قبض المرهون في نظر الشرع استيثاقية محضة ، ككتابة صك الدين ، لأنه جعل في الآية تدبيراً احتياطياً لتوثيق الدين عوضاً عن كتابة الصك عند فقدان الكاتب ؛ فيأخذ حكم الصك ، ويكون المرهون في يد الدائن المرتهن أمانة غير مضمونة ، فإذا تلف في يده لا يسقط شيء من الدين كما لا يسقط شيء منه بتلف الصك ؟ ( وهذا ما عليه الاجتهاد الشافعى ) .

أو أن قبض المرهون فيه معنى الاستيفاء إلى جانب الاستيثاق بسبب وضع الدائن

(١) في مقدمة كتاب ( بداية المجتهد ) من المؤلفات القديمة للأفاضل ابن رشد الحفيد بحث مختصر عن اختلاف الاجتهاد وأسبابه وضرورته ، وفي كتاب ( فقه القرآن والسنة في القصاص ) من المؤلفات العصرية للأستاذ الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء بمصر بيان قيم مشبع عن ذلك .



المرتهن يده على مال الدين وامتيازه بتقديمه على سائر الغرماء الآخرين في استيفاء دينه منه ؛ فلا يكون مجرد أمانة بيده ، بل هو أمانة من وجه ومضمون من وجه ؛ فإذا تلف المرهون في يده وكانت قيمته أكثر من الدين يسقط الدين ، وما زاد من قيمة المرهون يكون أمانة غير مضمونة ؟ ( وهذا ما عليه الاجتهاد الحنفى )<sup>(١)</sup> .

فانظر في كلمة « مقبوضة » وفي سياق الآية ماذا ينشأ عنهما من النظريات والأحكام الفرعية المختلفة ، واعتبر مثل ذلك في كثير من نصوص الكتاب والسنة التي يطول بنا إيرادها إزاء الأفهام الاجتهادية التي خلفت لنا في الفقه الإسلامي أعظم ثروة تشريعية عرفت في التاريخ عن أمة واحدة ! .

(ب) من المسائل القياسية التي اختلف النظر في وجه قياسها بين أئمة الاجتهاد الأولين مسألة طريفة ؛ وهي ما لو اشترك شخصان في ثلاثة دنانير ، من أحدهما ديناران ومن الآخر واحد ، فاختلطت الدنانير الثلاثة فأصبحت لا يمكن التمييز بينها ، ثم ضاع منها ديناران ، فما حصة كل من الشخصين في الدينار الباقي ؟

سئل أبو حنيفة عنها فأجاب بأن الباقي يكون بينهما أثلاثا ؛ فثلاثا لصاحب الدينارين وثلاثة لصاحب الدينار ، جريا مع القياس الظاهر ؛ فإن الدنانير لما اختلطت بصورة لا تقبل التمييز أصبحت كلها مشتركة بين الشخصين بنسبة ما لكل منهما ، فيكون كل دينار مشتركا أثلاثا بينهما ، لأحدهما ثلثا وللآخر ثلثه .

فما يهلك بعد ذلك من المال المشترك يهلك على الشركاء بنسبة حصصهم في المجموع ، ويبقى الباقي مشتركا بنسبة حصصهم أيضا .

فهذا هو قياس الحكم المسلم به في الشركة .

وسئل عنها ابن شبرمة فأجاب بأن الدينار الباقي يكون مشتركا أنصافا بين الشخصين ، لكل منهما نصفه ؛ لأن أحد الدينارين الضائعين هو من مال صاحب الدينارين يبقين فيهلك من حسابه فقط ، ويبقى له دينار واحد كما لرفيقه ؛ فالدينار الآخر الضائع هو المشكوك في أنه من مال هذا أو من ذاك ، فيهلك عليهما مناصفة ؛ فيبقى الباقي بينهما نصفين<sup>(٢)</sup> .

(١) بداية المجتهد ، لابن رشد ، كتاب الرهن .

(٢) ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين ج ٢ ص ١٨٨ الطبعة الثانية .

وهذا بخلاف مالو ضاع دينار واحد فقط ، فإن الباقي يكون بينهما أثلاثاً بالاتفاق لاحتمال أن يكون الضائع كله عائداً لكل منهما .

فأبو حنيفة أجرى قياس الشركة بالاختلاط ، ثم لم يجعل الهلاك معدلاً للحصص لأنه حصل بعد ثبوت الشركة ، فأجرى فيه أيضاً قياس هلاك بعض المال المشترك .

وابن شبرمة نظر إلى أن هلاك دينار واحد يختلف عن هلاك الاثنين لما في هلاك الاثنين من علم يقيني بنصيب أحد الشخصين في بعض الهالك ، والشك في البعض الآخر؛ فيعطى اليقين حكمه في بعض الهالك وتعديل الحصص أولاً ، ثم يجري في البعض الآخر المشكوك على قياس هلاك المال المشترك .

هذان مثلاً أحدهما نصي والآخر قياسي يعطيان فكرة واضحة عن ضرورة اختلاف الاجتهادات في فروع الأحكام .

هذا ، وإن تلك الاجتهادات الفقهية على اختلافها الكثير نسبتها جميعاً إلى الشريعة الإسلامية نسبة صحيحة معتبرة ، وإن كانت تلك الاجتهادات في كثير من تفاريع الأحكام الفردية متفاوتة في درجة قربها من الصواب وموافقتها لحكمة التشريع .

وإذا كان كثير من تفاريع الأحكام الفقهية في المذاهب إنما هو من عمل الفقهاء أنفسهم — كما يقول الأستاذ على حسن عبد القادر في كتابه « نظرة عامة في تاريخ الفقه » صفحة ٣ — فذلك لا ينافي صحة نسبته — على اختلافاته — إلى مبادئ الشريعة واشتقاقه منها ؛ فإن عمل فقهاء الإسلام في إيجاد تلك الأحكام التفصيلية التي لا جد لسمتها في مختلف المذاهب إنما هو اجتهاد ، أو تخريج على أصول الشريعة الإسلامية ودلائل نصوصها الأساسية .

وإذا أُرنا أن نجد مثلاً يمثل موقع تلك الاجتهادات المختلفة من الشريعة فإن أسد وأوضح مثال لذلك هو تمثيلها وتشبيهها بتعدد الاشتقاقات اللغوية وتنوع صيغها المشتقة من لفظ واحد .

فمن الراسخ أن تعدد الاشتقاقات واختلافها لا ينافي وحدة الأصل اللغوي المشتق منه ، ولا ينافي صحة الاشتقاق في كل منهما ؛ فكذلك الاجتهادات المختلفة بالنسبة إلى الشريعة وأصولها .

مزية الصفة الدينية في الفقه الإسلامي :

والفقه الإسلامي ، كما هو معلوم ، نظام روحى ومدنى معاً لأن الشرع الإسلامى جاء ناظماً لأمر الدين والدنيا .

ونتيجة لذلك افترق الفقه الإسلامى ، حتى فى القسم المدنى منه وهو المعاملات ، عن القوانين الوضعية بوجود فكرة الحلال والحرام فيه : وأن القضاء لأحد بطلب عندما يثبت مطلوبه بالثبوتات الظاهرة وتتوفر أسباب القضاء به لا يجعل الباطل حقاً والحق باطلاً فى الواقع ، ولا يبيح الإنسان ديانة أن يتناول ما قُضى له به إذا كان فى الواقع مبطلاً أو مزوراً ، وإن كان تنفيذ القضاء واحترامه لازماً لما تقتضيه سياسة التشريع من وجوب بناء القضاء المدنى على الظواهر وترك البواطن إلى الدين ، ومن ثم كانت أحكام المعاملات فى الفقه الإسلامى ذات اعتبارين : اعتبار قضائى ، واعتبار ديانى .

فهذه الصبغة الدينية فى الفقه الإسلامى من حيث استمداده ومصادره الأساسية ، ومن حيث فكرة الحلال والحرام فيه لم تكن لتمنع عن أن يبنى أحكامه المدنية على رعاية المصالح الدنيوية والأعراف السليمة ، وأن يؤسس وضعاً قضائياً مدنياً يبنى أحكامه على الظاهر المحض كما تبنى سائر القوانين الوضعية . ولكن تلك الصبغة الدينية فيه أفاضت على أوضاعه المدنية هبة واحتراماً ، وأورثتها سلطاناً على النفوس كان به الفقه الإسلامى شريعة مدنية ووازعاً أخلاقياً فى وقت معا ؛ لما فيه من قدسية المصدر القرآنى الأمر ، ومن الصارخ الدينى الباطن إلى جانب القضاء الظاهر ، فلا يحتاج الإنسان إلى قوة مصلته عليه دائماً لتلزمه الخضوع لإيجابه ، ولا يجد فى الإفلات من سلطان حكمه غنيمة إن استطاع الإفلات ، سواء أكان ملكاً عظيماً أو صعلوكاً ضعيفاً<sup>(١)</sup> .

(١) لهذه الصفة الدينية فى أحكام الفقه الإسلامى كثيراً ما كان الخلفاء والملوك المستبدون فى التاريخ الإسلامى يدعون إلى مجلس القضاء الشرعى للحاكم فى دعوى لأحد الناس عليهم ، فيحضرون كرامة الناس تاركين أبهة السلطنة على دست الحكم ، ويدخلون مجلس القضاء بكل توقير له ، وقد يحكم عليهم فيخضعون لحكم الشرع متباهين بهذا الخضوع ؛ كما حكم محمد بن عمر الطلعى على الخليفة المنصور العباسى للحمالين والمساكين ، وكما حكم أبو يوسف صاحب أبى حنيفة على الخليفة هارون الرشيد .

وقضية المنصور هذه قد رواها الأربلى فى كتابه « خلاصة الذهب المسبوك » المختصر فى سير الملوك ، فقال :

« قال عمير المدبى : قدم علينا المنصور المدينة ومحمد بن عمر الطلعى فى قضائه وأنا كاتبه ، فاستعدى الحمالون -- أى ادعوا لدى القاضى -- على أمر المؤمنين فى شىء ذكره . »

فمن قصر النظر ما يتوهمه بعضهم من أن تلك الصفة الدينية في الفقه الإسلامي تقضى عليه بالجمود وعدم القابلية لأن يتسع لحاجات الأزمان اتساع التشريع الوضعي الذي يمكن أن يتكيف بحسب الحاجة .

قد رأينا أن الفقه الإسلامي قد بنى على الاستحسان والمصالح العامة والأعراف اعتباراً لا يقف في مجارة الحاجات الزمنية عند حد سوى حد المصالح العامة نفسها ، والحرمة الأساسية التي جاءت الشريعة لإصلاح البشرية برعايتها ، صيانة للنفوس والعقول والأموال والأعراض في الحاضر والمستقبل .

يقول الأستاذ الجليل محمد أبوزهره :

« ومن يحاول أن يفهم الشريعة الإسلامية على أنها قوانين مجردة ومعالجات لإصلاح طوائف من المجتمع وتنظيم معاملاتهم من غير أن يربطها بالإسلام فلن يفهمها على وجهها الصحيح ؛ لأن الفهم المستقيم ما قام على رد الفروع إلى أصولها ، والتأنيج إلى مقدماتها ، والأحكام إلى غاياتها ، والآراء إلى مقاصد قائلها .

== قال فأمر غيراً المديني أن : اكتب إلى أمير المؤمنين كتاباً بالحضور معهم وإنصافهم . فقلت تعني من هذا فإنه يعرف خطي !! فقال : اكتب ، فيكتب ، ثم ختمه ، فقال : لا يمضى به أحد والله غيرك !

فضيت به إلى الربيع ، وجعلت أعتذر إليه ، فقال : لا تفعل . فدخل عليه بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس — وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم — : إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم إني قد دعيت إلى مجلس الحكم ، فلا أعلن أحداً قام إلى إذا خرجت أو بدأتني بالسلام إلا فتكت به .

ثم خرج ، والسبب بين يديه ، والربيع ، وأنا خلفه ، في إزار ورداء ؛ فلم على الناس ، فما قام إليه أحد ، ثم مضى حتى بدأ بالقبر فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت إلى الربيع ، فقال : ويحك يا ربيع ، أخشى إن رأي محمد بن عمر الطلحي أن يدخل قلبه هيبة فيتحول عن مجلسه ؛ فوالله لئن فعل لا يولي لي على ولاية أبداً !!!

قال : فلما رآه — أي انقضى — ، وكان متكئاً ، أطلق رداءه على عاتقه ثم احتج ودعا الخصوم والجالسين ، ودعا أمير المؤمنين ، ثم ادعوا وحكم عليه هم .

فلما دخل — أي المنصور — الدار قال للربيع : اذهب ، فإذا قام وخرج من عنده الخصوم فادعه . فقال : يا أمير المؤمنين ، مادعا بك حتى فرغ من أمور الناس جميعاً .

فلما دخل عليه سلم ، فقال المنصور : جزاك الله عن دينك ونبلك ، وعن حبك ، وعن خليفةك أحسن الجزاء .

( خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك ، لعبد الرحمن سفيط الأربلي ، في بحث خلافة المنصور العباسي ، ص ٦٢ — ٦٣ )



وإن من يحاول هذه المحاولة كمن يتصور أن ثمرأ يكون من غير شجر ، أو أن غصونا تقوم على غير جذوع .

وليس في كون الفقه الإسلامى مستمداً يبايعه من الدين وقائماً على أساسه غض من قيمته ، ولا نقص من قدر المستنبطين له المفرعين لفروعه ؛ لأن أولئك الرعيل الأول من المسلمين رأوا بثاقب نظرهم وقويم إدراكهم أن قوانين تستمد من الدين ويظلمها يظلمه تكون أمس بالوجدان ، وأمكن في الضمير ، وأقر في النفس : يطيعها الناس لابعصا السلطان ولا يقهر الحكام ، بل بصوت من القلب ، ورغبة من الديان ، ورغبة في النعيم المقيم ؛ فتكون الطاعة إرهافاً للاحساس ، وإيقاظاً للمشاعر ، وتنمية لنوازع الخير ، وتطهيراً للنفس من نوازع الشر ؛ ولا تكون الطاعة ضرباً من ضروب المسكة والخنوع المطلق من غير أن يمس الوجدان بما في القانون من داعيات الخير ومراحم الإصلاح ، إذ ينفذ على أنه إرادة الحاكم ورغبة السلطان ، وهما واجبا الطاعة من غير أى نظر وراء ذلك .

وإن جعل القوانين مستمدة من الدين من شأنه أن يقلل الفرار من أحكامها ، لأن الناس يستشعرون الخشية من الله إذ يحاولون الفرار ، ويحسون من داخل نفوسهم مراقبة الله إذا ضعفت مراقبة الإنسان .

وإن ربط القانون الإسلامى بالدين جعله مرتبطاً بكل الارتباط بقانون الأخلاق ، وبما تطابقت الجماعات الإنسانية قاطبة على أنه فضائل ؛ فلا تنأى فروع هذا القانون ولا قواعده عن الأخلاق الكريمة ؛ فكانت الشريعة الإسلامية بحق هي أول قانون تلتقي فيه الشريعة بالأخلاق ، ويكونان صنوين متحدتين متلاقيين ، ومن قبلها كان ذلك حلماً للفلاسفة والمصلحين يحملون به ؛ فإن حاولوا تطبيقه أيقظتهم الحقيقة ، وأبأسهم الواقع المستقر .

وإن استمداد الفقه الإسلامى يبايعه من الدين جعله شاملاً في سلطانه للراعى والرعية ، وجعل القانون مسيطراً على الحاكم والمحكوم ؛ فكان من حق الناس أن يقولوا "بحكام" : أتم مقيدون بأحكام الشريعة ، وأنتم مسئولون عن تنفيذها . وذلك في أزمان كانت ماطة الأحكام مطلعة بلا قيد يقيد بها ، ولا نظام يضبطها ؛ فكانت الشريعة بارتباطها بالدين قيلاً للحاكم وتهذيباً للمحكوم (١) .

(١) مقدمة كتاب ( الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية ) للأستاذ أبى زهرة

## باب وباب

كنت أقلب صفحات مفكرة السنة الجديدة فوقعت عيني على « شهر فبراير » ، فانبض صدري ، ونكأت كلمة « فبراير » جرحاً غائراً في قلبي ...  
وكلمة « فبراير » بريشة كما ترى ، ولكنه « تداعى المعاني » كما يسميه علماء النفس ، فني مثل هذا الشهر من أربع سنين سفك دم « حسن البنا » في قلب القاهرة ، ومضى الإمام العزيز إلى ربه شهيد كلمته ، وصريع الحق الذي بعث به أنبياءه ؛ وابتسم الشيطان في مصر ابتسامة خبيثة ما أظنه ابتسمها منذ قرون ...

\*\*\*

وزيما قال قائل ... ويحك ! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، وما عهدنا عن سلفنا الصالح احتفالاً بذكرى أحد ولو كان النبي نفسه ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما يجمع الناس حق خالد لا يموت ، وتوجه مشاعرهم كلمة واحدة لا تنازعها كلمة سواها : « قل هو الله أحد » ... والجواب على ذلك : نعم ... وليس في الأمر إلا ما تقول ، ولكن الذكر الذي يخفق به القلب غير الذكرى التي يتكاف لها الناس ؛ ثم إن الذكرى تختلف كما يختلف باب وباب : باب جميل الهندسة جذاب المظهر ... تأتبه وقد أعجبك فيه ما رأيت ، لتفضي منه إلى شيء وراءه أجمل وأروع ، فإذا به موصد لا يفتح ، وإذا بجبال مظهره يشغلك عما جئت من أجله ، فتقف عنده وتنتهي إليه ، وهو بذلك لم يعد باباً كما خدعك مظهره ... ولكنه سدّ خطير يشل القوى ويخون أمانة هؤلاء الساعين إليه ؛ وهذا مثل الوثن عند عابده ، والزعم المقدس عند المفتونين به ... أما الباب الآخر فهو باب يعلّو قلبك جمال منظره ، ويجذبك إليه روعة صناعته ، ولكمك حين تجيئه تجده مفتوحاً على مصراعيه ، لتدلف منه إلى حقيقة أروع ، تملك لبك وتستأثر بك ، وتجعلك تؤمن أن الباب الذي أعجبك إنما مرد فضله إلى الحقيقة التي صنع من أجلها ، وأن مهمته هي أن يأخذك إليها ، وأن مهمتك أنت أن تسلم لها ... ؛ وذلك مثل الأنبياء : « لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ... انظر كيف قال « له » ولم يقل « لهم » ؛ ولذلك كانت حياتهم في الناس أبواب رحمة الله لهم « أولئك الذين صدق الله فبهدهم اقتده » ...

فعبقرية هؤلاء حقيقة العبودية لله لا التناول على الناس ، والواحد منهم عبقرى بقدر ما هو عبد ، والناس وراءه متبعون له بقدر ما هم مسلمون لله رب العالمين .

\*\*\*

هذا هو شأن الأنبياء ، وشأن كل من اتبعهم بإحسان ، وهكذا يجب أن نذكرهم . أذكر لقد كنت أدخل على « حسن البنا » بالورقة أو الرأي أعلم أن فيهما شيئاً يرضيه ، وفي نفسي تطلم إلى أن يرضى ، فإذا به يشيح بوجهه ، ورعاً أرحاً أمراً يحتمل الإرجاء حتى يرد نفسي إلى الجادة ، وكانت لإشاحة وجهه أحياناً تذكرني بحركة نفسي وأنا عنها غافل ؛ ولقد كنت أدخل عليه مرات أخرى بالورقة أو الرأي أعلم أنه لا يوافق على ما فيهما ولكنني مطمئن النفس إلى الخير الذي يحققانه مبتغ بذلك وجه الله ، فإذا به تنبسط أساريره ويقبل على بكل وجهه ... سواء أمضى الأمر بعد ذلك أو لم يمضه ...

هكذا كان ولذلك بارك الله غرسه ، ومضى إلى ربه وبقيت في الناس دعوته التي أسلم لها عقله وقلبه ، وزهرة عمره وزكى دمه .  
رضى الله عنه وأرضاه .

# من فقه القرآن والسنة منهج وتطبيق

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

( ١ )

## مقدمة

منذ زمن طويل ونحن نطلب أن يكون الفقه الإسلامى هو المصدر الأول والوحيد للقانون الذى تؤخذ الأمة بأحكامه ؛ سواء فى ذلك ناحية الأحوال الشخصية ، أو الناحية المدنية ونحوها من مختلف نواحي القانون وفروعه المعروفة . ثم ارتفعت الصيحة من هنا ومن هناك ، بضرورة الرجوع فى الفقه نفسه إلى مصدريه العظميين الأصليين : القرآن والسنة ؛ وذلك لنعرف أحكام الله من أسسها الأولى ، ونخلص من الجمود الذى وقفنا عن الاجتهاد والتقدم فى التشريع زمناً طويلاً .

إلا أننا لم نحاول حق الآن محاولة جادة أن نتعرف أحكام الله تعالى فى المعاملات المالية المتعددة على ضوء كتابه المحكم وسنة رسوله الذى لا ينطق عن الهوى ، مكتفين برفع الصوت بضرورة تطبيق أحكام الشرع الإسلامى . وذلك لأن الأمر دقيق مشكل ؛ ففي بعض هذه المعاملات المالية مالا غنى عنه لنظامنا الاقتصادى باعتبارنا أمة لها صلاتها الوثيقة بالعالم « الغربى » ، ومن هذه المعاملات ما اعتقد بعض أو أكثر علماء الاقتصاد منا مالا يمكن أن يتفق بحال مع ما جاء به القرآن والحديث ، ومن ذلك بخاصة العقود والمعاملات التى تقوم على الربا .

ونحن نتصور هؤلاء العلماء الأعلام فى الاقتصاد كمنفر وقفوا أمام باب مغلق يريدون فتحه ، ولكنهم اعتقدوا مقدماً أنه لا يمكن أن يفتح إلا بفتح واحد شاذ ، فلم لا يجربون غيره . مع أنه فى الواقع يمكن أن يفتح بغير هذا المفتاح ، وما عليهم إلا أن يحاولوا حتى يجدوا هذا المفتاح الطبيعى الذى ينفذون به إلى ما يريدون .  
وعلىنا فى مستهل هذا الحديث أن نؤكد أن ما نعتزمه ليس إلا محاولة لفتح باب

البحث في حكم المعاملات المالية ، وبخاصة ما يجري منها في سوق العقود وسوق الأوراق المالية وفي البنوك ، حتى يتقدم له أناس آخرون من الأكفيا الذين جمعوا بين الإيمان بالإسلام وشرعيته وبين التضلع في العلوم الاقتصادية ، ويكون من كل هذه الجهود ما يقيم نظامنا الاقتصادي على أسس صالحة من كتاب الله وسنة رسوله والاجتهاد الصحيح الذي يجري في فلك هذين المصدرين الأصيلين للفقه الإسلامى .

على أنه قبل أن نسير فيما قصدنا إليه ، أن نبين بإيجاز ما يأتى :

- ١ — المراد بكلمة « فقه » وكلمة « شريعة » ، فإن الخلط بينهما له خطورته .
- ٢ — ما يقال هذه الأيام من جواز نسخ بعض نصوص الكتاب والسنة تبعاً للمصلحة .
- ٣ — المنهاج الذى يجب اصطناعه لاستخلاص الفقه من هذين المصدرين ؛ فلا سبيل للوصول إلى ما نريد إلا باتباع منهج سليم مرسوم .

### الفقه والشريعة

إذا كان الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وأنه علم مستنبط بالرأى والاجتهاد ، فالشريعة أعم منه حتى لتشمله وغيره من العلوم الدينية . إنها كل ما شرعه الله لعباده من الأحكام على لسان رسول من رسله في فترة من فترات الزمان ، فهى مرادفة لكلمة « دين » .

وإذا اتخذنا الشريعة الإسلامية مثالا كاملا للشريعة الإلهية ، نجد هذه الشريعة تشمل العقائد الدينية عن الله وذاته وصفاته وصلته بالعالم والإنسان ، وإثبات الدار الآخرة وبيان أحوالها ، وكل هذا وما يتصل به هو ما يسمى بعلم الكلام أو التوحيد ، كما تشمل ناحية تهذيب المرء نفسه وأهله ، وما يجب أن يكون عليه الإنسان من سلوك باعتباره فرداً وعضواً في جماعة ؛ وهو ما نعرفه بعلم الأخلاق . وبعد هذا وذاك ، نجد أنها تعنى ببيان الأصول التى تعرف منها الأحكام الشرعية التى يجب أن تثبت لأعمال المكلفين ، كالوجوب والحظر والإباحة والنذب ، وكون هذا العقد أو التصرف صحيحاً والآخر باطلاً أو فاسداً ، إلى آخر الأحكام التى نسمى مجموعها بالفقه .

وفى ذلك ، أى فى بيان الفرق بين الشريعة والفقه الذى هو قسم منها ، نجد محمد ابن على التهانوى يقول : « الشريعة ما شرع الله لعباده من الأحكام التى جاء بها نبي من الأنبياء ، صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم ؛ سواء كانت متعلقة بكيفية عمل ، وتسمى



فردية وعملية ، ودون لها علم الفقه ، أو بكيفية الاعتقاد ، وتسمى أصلية واعتقادية ، ودون لها علم الكلام . ويسمى الشرع أيضا بالدين ولله (١) .

ومن أجل ذلك ، نجد كلمتي دين وشرعية تردان في القرآن في أكثر من آية ، ومنها قوله تعالى ( سورة الشورى ك ٤٢ - ١٣ ) : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى » ؛ وقوله ( سورة الجاثية ك ٤٥ - ١٨ ) : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » ، في مقابلة شريعة موسى وشرعية عيسى عليهما الصلاة والسلام ، على حين أن كلمة « فقه » لم تعرف باللغة العربية معناها الاصطلاحي الذي تعرفه اليوم إلا بعد مضي زمن طويل (٢) .

وغرضنا من بيان هذا الفرق بين الفقه والشرعية ، أننا حين نعرف أن الشريعة هي ما شرعه الله لنا من عقائد وأحكام وأخلاق عُلِّينا ، لم يكن لنا أن نحيد عن شيء منها ، وإلا كنا مائلين عن شريعته إلى غيرها .

أما الفقه فإن جانباً كبيراً منه يرجع إلى اجتهاد رجال أمثالنا هم عرضة للخطأ أحياناً ، وإذا فلمن استكمل منا أدوات الاجتهاد ومؤهلاته أن يجتهد كما اجتهدوا ، مادام يسير دائماً في مسار كتاب الله المحكم وسنة رسوله الثابتة ، وفي هذا مجال الحرية الرأي والاجتهاد أي مجال

فنحن حين نطالب بأن يكون الفقه الإسلامي هو المصدر الأول للقانون ، لا نريد به كل ما نجد ، في كتب الفقه المعروفة ، ومنه ما لا يتفق والزمن الذي نعيش فيه ، بل نريد به ما يرجع إلى الكتاب والسنة وما يتصل بذلك من الآراء الاجتهادية الصحيحة الموافقة لأصول الفقه الأولى والتي تصلح بها الحياة . وتركنا شيء من تراث فقهاءنا الماضين الأجداد ، لا يعد مجال ما تركا شيء من شريعة الله ودينه ، مادامنا قد عرفنا بوضوح الفرق بين الفقه والشرعية .

### النسخ تبعاً للمصلحة

القرآن هو الأساس والأصل الأول للشرعية الإسلامية ، إلا أنه في كثير من الحالات لم يدل على الأحكام الفقهية إلا على نحو كلي عام ، ومن ثم كانت الحاجة للرسول وسنته

(١) كشف اصطلاحات الفنون ، مادة شريعة « المجلد الأول » ص ٨٣٥ - ٨٣٦

(٢) أنظر مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٥٣ ، في البحث الذي تكلم فيه عن الفقه وتاريخه ومذاهبه .

وفي هذا يقول الله تعالى ( النحل ك ١٦ — ٢٤ ) : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ، وقد جاء هذا البيان في صور كثيرة لضرورة التعرض لها هنا .

إلا أن هذا لم يمنع من ظهور جماعة ، لا يبالها الله ولا المسلمون ولا أحد من أولى الألباب ، تذهب إلى عدم الاحتجاج بالسنة في الأحكام الشرعية العملية ، فيقولون حسبنا القرآن وقد نزل بلسان عربي مبين يفهمه الناس كافة ، وهي قولة حق يراد بها باطل ، وهي تعلقة يتعللون بها في سبيل رغبتهم التفتت من أحكام الدين .

وفي هؤلاء وأمثالهم يقول الصادق الأمين : « لا يُفَهِينُ أَحَدُكُمْ مَتَكُنَّا عَلَى أَرِيكَتِهِ ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا أُدْرِي ! مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ »<sup>(١)</sup> ، وفيهم أيضا يقول أبو أيوب . السخيتاني : « إذا حدثت الرجل بسنة ، فقال دعنا من هذا وأجبنا عن القرآن ، فاعلم أنه ضال<sup>(٢)</sup> » .

ثم يجيء آخرون يدعون إلى تجويز نسخ بعض نصوص القرآن والحديث تبعاً للمصلحة كما يزعمون ، وهذا سبيل الاجتهاد ، ويستندون في ذلك إلى تجويز القرآن نفسه للنسخ كما جاء في آية من آيات سورة البقرة .

ونحن نحس ضرورة فتح باب الاجتهاد ، ولكن للقادر عليه وعلى ألا تخرج فيما نذهب إليه من الآراء باجتهادنا عما قدره القرآن المحكم والسنة الصحيحة . كما نلاحظ أن النسخ في القرآن والحديث قد انتهى عهده بتمام نزول القرآن وانقضاء عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن من البديهيات أن من له سلطة التشريع هو الذي يكون له وحده سلطة النسخ ، وهذا المبدأ هو ما قدره آية النسخ من سورة البقرة : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » ، وهذا معناه بوضوح أن النسخ والآتي يبدل عما نسخ هو الشارع الأعظم نفسه ، وما جاء من ذلك على لسان رسوله فهو بوحى من الله تعالى .

أما بعد وفاة الرسول ، وتمام نزول القرآن وكمال الدين به وإتمام الله نعمته علينا بذلك ، فكيف يمكن القول بجواز نسخ حكم ثبت بالقرآن أو السنة تبعاً لمصلحة تزعمها الآن أو فيما يأتي من الزمان ! وهل غابت هذه المصلحة عن الله العليم بكل ما كان ويكون ، والحكيم في كل ما شرع الله لعبيده !

(١) الرسالة للشافعي في مقدمة الجزء الأول من الأم ، ص ١٥

(٢) معرفة علوم الحديث للإمام الحافظ النيسابوري ، ص ٦٥

نحن لانعارض في أن المقصود من الأحكام الشرعية هو مصلحة الناس في كل زمن ، وأن هذه المصلحة قد تتغير تبعاً لبيئة المكان والزمان . وإذن ينبغي رعايه تغير البيئات والأعراف حين نجتهد في حكم من الأحكام ، ولكن هذا الاجتهاد لا يكون إلا فيما لا يمكن أن يعرف بيقين أنه مصلحة عامة ، أما فيما يعرف أنه كذلك بنص من القرآن أو الحديث فلا معنى للاجتهاد فيه ، وليس لنا أن نجزئ نسخ حكم ثابت بهذا النص الذي يحقق المصلحة يقينا جريا وراء مصلحة يزعمها بعض الناس ، ومن أعلم من الله أو أصدق منه قبيلا !

ولنضرب لذلك مثلاً واحداً ، وهو الربا على أى شكل من أشكاله . فإنهم يؤكدون الآن ومنذ زمن بعيد بأن المصلحة الاقتصادية للبلاد تقضى بالترخص في المعاملات القائمة على الربا ، لأنه لا يمكن في زعمهم الاستغناء عنه في هذا العصر ، وهذا معناه نسخ حرمة الربا في قليله وكثيره الثابتة بنص محكم من الكتاب . ولكن دون ذلك خرط القتاد ؛ لأنه يؤدي إلى أن الله ، حين حرم الربا بصفة مطلقة وقاطعة الثبوت والدلالة وتوعد على كثيره وقليله بأشد أنواع الوعيد ، كان لا يعلم ما فيه الخير والمصلحة العامة للناس والدولة ، ولن يرضى بهذم النتيجة من يؤمن بالله وكتابه ومن يعرف ما جرت به المعاملات الربوية من خراب البيوت وضياع الثروة العامة .

وفي الكلمة الآتية ، إن شاء الله تعالى ، بيان المنهج الذي وضعناه لأخذ الفقه من القرآن والسنة ، وبه تنتهى مقدمة البحث .

### سلطانة الفطرة

قيل لأعرابي : كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله ؟ قال : وهل العيش إلا ذاك ؟ يمشى أحدنا ميلاً فيرفض عرقاً ، ثم ينصب عصاه ، ويلقى عليها كساءه ، ويجلس في فيئة يكتال الريح ، فكأنه في إيوان كسرى ... !

نحو مجتمع إسلامي :

## كيف نستوحى الإسلام

للاستاذ سيد قطب

إذا كان المستقبل — كما أسلفنا — لفكرة الإسلام عن الحياة ، وللنظام الاجتماعي الذي ينبثق من هذه الفكرة ، بحكم أنه أكثر النظم التي عرقتها البشرية قبولاً لنمو الحياة ورفقها ، وبحكم أن الفكرة التي ينبثق منها هي أشد الأفكار التي عرقتها البشرية حيوية ، وأكثرها سعة وشمولاً لحاجات البشرية المتجددة .

إذا كانت هذه حقيقة — وأرجو أن ينجلي هذا بعد عرض مقومات المجتمع الإسلامي في المقالات الآتية — فكيف نستوحى الإسلام إذن في استخلاص تلك المقومات وتصويرها ؟ إنه لا بد قبل محاولة استخلاص تلك المقومات من الاتفاق على أصول معينة ، أو اتخاذ منهج معين في استيعاء الإسلام واستلهامه كي لا يكون الأمر فوضي ، أو يكون متروكاً للغرض والهوى .

يجب في المقدمة أن نجلو حقيقتين كبيرتين :  
أولاهما : أن الشريعة الإسلامية شيء والفقه الإسلامي شيء آخر ، وأنهما ليسا متساويين لا في المصدر ، ولا في الحجية ، وأن موقفنا في استيعاء مقومات المجتمع الإسلامي ونظمه منهما ليس واحداً .

وثانيتهما : أن الصورة أو الصور التاريخية للمجتمع الإسلامي ، ليست هي الصورة أو الصور النهائية لهذا المجتمع ؛ بل إن هنالك صوراً متجددة أبداً ، يمكن أن تحمل هذا الوصف « إسلامي » وتنبثق من الفكرة الإسلامية الكلية ، وتعيش في إطارها العام .  
ولبيان هاتين الحقيقتين وجلاتهما قيمة كبرى في تحديد المنهج الذي نتبعه في استيعاء الفكرة الإسلامية ، واستلهامها في الميدان الاجتماعي .

إن الشريعة الإسلامية ثابتة لا تتغير ، لأنها المبادئ السكينة الأساسية لهذا الدين القيم الذي ارتضاه الله للناس كافة « إن الدين عند الله الإسلام » (١) . . . « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » (٢) . وقد كملت هذه الشريعة في عهد الرسول صلى

الله عليه وسلم ، وانتهت إلى غايتها التي أراد الله لها الدوام أبدا : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً »<sup>(١)</sup> وتقررت كذلك نظاما للحكم ، ودستورا للعدل ، لا مفر من اتباعه ، ولا يقبل من المسلم أن ينحرف عنه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »<sup>(٢)</sup> . « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »<sup>(٣)</sup> .

ولكن الحياة تندفع دائما إلى الأمام ، وتتجدد حاجاتها ومطالبها وتتغير علاقات الناس فيها ووسائل العمل وطرق الإنتاج ، وتبرز إلى الوجود أوضاع جديدة ، ومشاعر جديدة ، وأهداف جديدة . فكيف إذن يمكن افكرة ثابتة أن تواجه حاجات وأحوالا متجددة ؟ وكيف يمكن لهذه الحاجات والأحوال أن تتحرك وتنمو في ظل فكرة ثابتة ؟

هذا ما فطنت إليه الشريعة الإسلامية قبل كل شيء ، فجاءت في صورة مبادئ كلية وقواعد عامة يمكن أن تنطبق منها عشرات الصور الاجتماعية الحية وتعيش في داخل إطارها العام ، وتتخذ منها مقوماتها الأساسية ، ثم تختلف بعد ذلك في التفريعات والتطبيقات ما نشاء ، دون أن تصادم الأهداف الثابتة والغايات الدائمة ، التي تتعلق بالإنسان بوصفه إنسانا لا بوصفه فردا معينا في حين من الزمان والمكان ، ولا جيلا محدودا في فترة من فترات التاريخ.

ونحن نعرف مدى كراهية بعض المذاهب المادية — وبخاصة الماركسية — للأفكار الثابتة ، والمبادئ الدائمة ، لأنها تصادم فكرتها عن التطور الدائم ، وتعارض اتجاهها إلى تحطيم المثل المجرد ، ولأننا ننظر إلى الموضوع نظرة أوسع من نظرة الماديين المحدودة ، فلا نرى أن هنالك تعارضا بين وجود الأهداف الثابتة وتحقيق التطور الدائم . إن اعتبار ارتقاء الحياة هدفا ثابتا لا ينبغي تطور الحياة نحو هذا الهدف ، واعتبار الإنسانية وحدة متصلة ذات أهداف مترابطة لا ينبغي أن حاجات كل جيل وأهدافه تتخذ شكلا معينا ، يناسب ظروفه ووراثاته ودوافع حياته . ولكنها في عمومها لا تخرج على هذه الوحدة المتصلة ولا على ذلك الهدف الثابت .

وهكذا يبدو أن النظرة الضيقة وحدها ، والرغبة التحكمية في إثبات نظرية معينة هي التي تجعل الماركسيين ينفرون من الأفكار والأهداف الثابتة ، وينكرونها إنكاراً شديداً .

(٢) سورة المائدة : ٤٤

(١) سورة المائدة : ٣

(٣) سورة الحشر : ٧



أما النظرة الواسعة وحرية التفكير الطليقة ، والتأمل في خط سير البشرية الطويل فهي كلها في جانب النظرة الإسلامية التي تعد الحياة كما تعد الإنسانية وحدة متصلة الحلقات ، متعاقبة الأطوار ؛ فتضع للغايات الحيوية والإنسانية الدائمة أصولاً عامة ثابتة في الشريعة . وتدع للفقهاء الإسلاميين تلبية الحاجات والأوضاع للتطورة المتجددة في نطاق تلك الشريعة الثابتة .

الشريعة الإسلامية إذن ثابتة لا تتغير لأنها ترسم إطاراً واسعاً شاملاً يتسع لكل تطور . أما الفقهاء الإسلاميون فمتغيرون لأنه يتعلق بتطبيقات قانونية لتلك المبادئ العامة في القضايا والأوضاع المتجددة التي تنشأ من تطور الحياة ، وتغير العلاقات ، وتجدد الحاجات . الشريعة الإسلامية من صنع الله . ومصدرها القرآن والسنة . والفقهاء الإسلاميون من صنع البشر استمدوه من فهمهم وتفسيرهم وتطبيقهم للشريعة ، في ظروف خاصة ، وتلبية لحاجات خاصة ، واستجابة لأوضاع جيلهم الذي عاشوا فيه ، وفهمهم للأُمُور وتقديره للغايات والأهداف ، ومصالحه التي تملئها الوقائع والأشياء . وأياً ما كان بصر هؤلاء الرجال الذين وضعوا الفقهاء الإسلاميين وأياً ما كان إدراكهم لروح هذه الشريعة ومراميها وأياً ما كانت سعة آفاقهم ودقة تقديراتهم — وهو الواقع فعلاً — فإنه ينبغي أن نضع في الاعتبار دائماً أن تشريعاتهم الفقهية كانت تلبية لحاجات زمانهم الواقعية . وحق الفروض النظرية التي افترضوها وأجابوا عليها لم تكن إلا من وحي هذه الحاجات ، أو من وحي منطق البيئة التي أحاطت بهم والعصر الذي عاشوا فيه ، والعلاقات والارتباطات الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك البيئة وفي هذا العصر .

وهذه النظرة العامة لا تقتصر على فقهاء الإسلام الذين عرفوا بهذا اللقب ، وإنما تشمل كذلك حتى صحابة رسول الله — بعد موته صلى الله عليه وسلم — فأبو بكر وعمر وعلي وابن عباس وابن عمر وإخوانهم — رضى الله عنهم — هم أكثر بصراً بشريعة الإسلام من غير شك . راعى إدراكاً لمبادئها واتجاهاتها بلا جدال . ولكن تطبيقاتهم لهذه الشريعة لا تخرج عن تلك القاعدة ، وهي أنها جاءت تلبية مباشرة لحاجات البيئة ومقتضيات العصر ، ولا يمكن أبداً أن تصبح جزءاً مقدساً من الشريعة — ومصدرها هو القرآن وسنة رسول الله وحدهما — وما عدا هذين المصدرين فهو فقه إسلامي يختلف درجة حجته بقياس بعضه إلى بعض ؛ ويشير الطريق للأجيال التالية ، ويسارها على الفهم ، ويرشدها في طريقة التطبيق والاستنتاج .

ويحسن قبل أن نمضى في تفصيل هذه القاعدة أن نفرق بين نهجين عظيمين في

الفقه الإسلامى : نهر العبادات ونهر المعاملات — وإن يكن هنالك ارتباط وثيق فى طبيعة العقيدة الإسلامية بينهما جميعاً<sup>(١)</sup> — فالفقه الخاص بالعبادات أكثر ثباتاً واستقراراً ، لأنه يتعلق بشعائر تعبدية لا تتأثر بتوالى العصور والأجيال ، وأما الفقه الخاص بالمعاملات ، فهو أكثر تطوراً ، لأنه أشد تأثراً بالحاجات البشرية المتجددة التى لا تستقر على وضع معين ، بحكم تشابك العلاقات ، وتغير الأحوال ، وبروز أوضاع وعلاقات اجتماعية جديدة لم تكن من قبل فى الحساب .

والذى يهمنا فى هذا البحث هو فقه المعاملات وحده ، لأنه هو الذى يتولى تنظيم المجتمع وتصريف الحياة العامة ، وتحديد العلاقات والروابط فى كل جانب من جوانبها الكثيرة .

هذا الفقه هو الاستجابة المتكررة لدواعى الحياة المتجددة فى صورة تطبيق تشريعى جزئى للشريعة الإسلامية الثابتة على حالات غير ثابتة فى حياة الأمة الإسلامية .

ومما لا يقبل الجدل — كما قلت — أن رجالاً كأتى بكر وعمر وعلى وابن عباس وابن عمر ومن إليهم من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أعمق إدراكاً وأشد بصراً بروح الشريعة الإسلامية ، وتطبيقهم لها فى الحالات التى عرضت لهم بعد رسول الله أحكم وأدق . ولكن هذا لا ينفى أن هذا التطبيق إنما جاء تلبية للحاجات الواقعة حينذاك ومن وحي المنطق الواقعى لهذه الحاجات . ولما كانت الحالات الاجتماعية لا تتكرر أبداً فى التاريخ ، إنما تتشابه مجرد تشابه ؛ فإن أى حكم تطبيقي فى حالة مضت — ليس من شرع الله ولا من عمل رسول الله — إنما يصلح للاسترشاد والاستشهاد فى الحالات المشابهة التى تعرض للأجيال المتجددة ولكنه لا يبلغ حد الإلزام المطلق ؛ لأنه مجرد رأى بشرى فى شريعة الله ، وليس جزءاً من الشريعة الثابتة الصادرة من الله .

ومضى سلمنا بهذه القاعدة بالقياس إلى خلفاء رسول الله وصحابته فإنها تصبح بالقياس إلى فقهاء الإسلام أصحاب المذاهب وغيرهم بديهة واضحة لا تحتاج إلى جدال .

هذا فيما يتعلق بالشريعة والفقه . أما فيما يتعلق بالمجتمع وأطواره . فإن الصور التاريخية للمجتمع الإسلامى لا تحدد ولا تستوعب كل الصور الممكنة للمجتمع الإسلامى . ولكل جيل أن يبدع نظمه الاجتماعية فى حدود المبادئ الإسلامية ، وأن يلبى حاجات زمانه باجتهادات فقهية قائمة على الأصول السكينة للشريعة على شرط اتباع مناهج صحيحة

(١) يراجع فصل طبيعة العدالة الاجتماعية فى كتاب ( العدالة الاجتماعية فى الإسلام ) .

في الاجتهاد واتفاق بين جمهرة فقهاء الأمة الإسلامية في كل جيل . بحيث لا ندع الأمر فوضى لكل من شاء كيف شاء .

وبتقرير هذه القواعد تصبح السوابق التاريخية في نظم المجتمع الإسلامي — فيما لم يرد فيه نص صريح من الشريعة — مجرد معالم تهدي ومنازل تضيء ، وينفسح المجال للانتفاع بالتجارب البشرية في تنظيم المجتمع ، مع المحافظة على الخصائص الثابتة في الفكرة الإسلامية الاجتماعية ، والسمات التي جاء الإسلام ليحققها في المجتمع الإنساني . . فإنه ينبغي أن يكون واضحاً أن الإسلام قد جاء لينشئ حضارة معينة لهذا المجتمع في فترة تعد لحظة أو ومضة في حياة الأمم . . ومعجزة هذا الإسلام الكبرى هي أنه يملك أن يحافظ على مبادئه وخصائصه ، وأن يسمح في الوقت ذاته بمرور صور شتى من المجتمعات ، كلها قائم على تلك المبادئ والخصائص . ومرد هذا إلى أن تلك المبادئ والخصائص يحكمها ذات القانون الذي يحكم الفطرة البشرية ، ويحكم الحياة الإنسانية ؛ بل يحكم الوجود كله في الحقيقة . وهذا القانون يتضمن الثبات والاستمرار مع التطور والتحول كجزء أصيل من كيانه . . وعندئذ لا يصطدم تطور البشرية الدائم بتلك الشريعة الثابتة ، لأن طبيعة الناموس الذي يحكمهما واحد في صميمه .

وفما يختص بالتفريعات والتطبيقات التي يحتاج إليها المجتمع لمسايرة الحاجات الزمنية المتجددة لا يخرج الأمر عن أربعة احتمالات :

الأول : أن تكون الشريعة قد نصت على حكم معين نصاً صريحاً ، فهو إذن واجب التطبيق دون تحوير أو تبديل ، لأنه في هذه الحالة إما أن يكون متعلقاً بركن أساسي من أركان المجتمع الإسلامي التي أريد لها الدوام ، لأنها أصيلة في كيان هذا المجتمع ، مميزة له عما سواه من مجتمعات ، كالنص على تحريم الربا ؛ لأن الربا يتعارض تعارضاً أساسياً مع القاعدة الاقتصادية والاجتماعية التي يريد الإسلام أن يقيم مجتمعه عليها ، ولا سبيل إلى التوفيق بينهما ولا إلى التعديل في تلك القاعدة الأساسية الأولى . وإما أن يكون متعلقاً بسمة أساسية من سمات هذا المجتمع أريد تثبيتها والمحافظة عليها للمحافظة على هدف دائم في كل زمان ومكان ، كالنص على الحدود الإسلامية تحقيقاً لمبادئ أخلاقية معينة يراد لها الثبات في المجتمع الإسلامي . وإما أن يكون متعلقاً بمبدأ تشريعي لا يتغير أصله بتغير الزمان والمكان كالنص على وجوب كتابة الدين المؤجل — غير التجاري — والإشهاد عليه مع الكتابة : إلا أن يكون تجارة حاضرة فيجوز إثباته بشهادة الشهود ؛ لأن في النص من الموافقة لأحوال التعامل ما يضمن صلاحيته واستمراره .

ونحن إذا تتبعنا الأحكام الثابتة في الشريعة وجدناها كلها تتعلق بمثل هذه المعاني فببوتها إذن لا يعنى الجمود ؛ لأنه يتعلق بأهداف ثابتة أو بأوضاع ثابتة . ومن هنا يلتقى الناموس الذى يحكمها بالناموس الذى يحكم الحياة والقطرة ؛ وهو ناموس ثابت فى أصله متحرك فى جزئياته ، لأنه جزء من ناموس الوجود الأكبر — الذى يجمع بين الثبات والحركة فى كل لحظة وفى كل جزئية على ما نشهد من ثبوت الأفلاك وتحركها ، وثبوت الحياة وتحركها ، وثبوت المجتمع وتحركه : « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبدل خلق الله (١) » .

الثانى : أن تكون الشريعة قد جاءت فيه بنص أو نصوص قابلة للتأويل فىكون الأمر حينئذ قابلاً للاجتهاد ترجيحاً أو توفيقاً بين النصوص المختلفة إن كانت ، أو بين النص الواحد والحالة المراد تطبيقه عليها : وذلك مع الاسترشاد بالتطبيقات العملية فى صدر الإسلام إن وجدت ، والاستعانة بأقوال الفقهاء فى المسألة ، ولكن دون التزام كامل بتلك التطبيقات أو بهذه الأقوال التى لم تكن إلا تلبية مباشرة لحاجات العصر الموقوتة :

الثالث : أن تكون الشريعة قد جاءت بمبدأ عام ، تدخل هذه المسألة الخاصة فيه ضمناً ، ولكنه لا ينص عليها تصريحاً . وعندئذ يكون الأمر موضع اجتهاد فى تطبيق المبدأ العام على الجزئية المعروضة مع الاسترشاد بالسوابق التاريخية والأحكام الفقهية . مجرد استرشاد ...

الرابع : أن تكون الشريعة قد سكنت عن هذا الأمر فهو متروك إذن للاجتهاد المطلق : على ألا يصدم الحكم الذى يصل إليه مبدأ من مبادئ الإسلام الأساسية ، ولا أصلاً من أصوله التشريعية . ولنا أن نسترشد فيه بتصرف فقهاء الإسلام فى مثل هذه الأشكال .

بهذه فتفظ للفكر الإسلامى بمرونته ، وللنظام الإسلامى بتجده . ونخلص كذلك من التعقيدات الفقهية التى جاءت فى العصور المتأخرة ، والتى تشيع اليأس فى رواد الشريعة الإسلامية عن طريق هذا الفقه المعقد ، لأنهم يحسبونه أصلاً من أصول الشريعة لا تتاح لإنسان معرفة الإسلام إلا بدراسته ، على حين أن الأحكام الفقهية لا تزيد على أن تكون محاولات بشرية لتفسير تلك الشريعة وتطبيقها تفسيراً وتطبيقاً صالحاً لفترة معينة من الزمان ، ومستمداً من روح هذه الفترة وتسميتها للحياة . وقد لا تصلح هذه

المحاولات لأكثر من زمانها . والفهم الصحيح لروح الإسلام وطريقة الإسلام في علاج الحياة يحتم علينا أن نرجع دائماً إلى الشريعة البسيطة المجلة نستلهمها حاجات زماننا استلهاها مباشراً ، كما صنع الفقهاء المجتهدون في أيامهم ، تلبية لحاجات أمته وزمانهم .

وأحب قبل أن أختم هذا المقال ، أن أزيد هذا المنهج إيضاحاً :

لقد استمر نمو الفقه الإسلامى وتطوره إلى نحو القرن الثامن بعد اتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . وكان في نموه وتطوره متابعاً لنمو المجتمع الإسلامى وتطوره كذلك ، وملبياً لحاجاته المتجددة حسب بروز تلك الحاجات ؛ لأن الشريعة الإسلامية كانت هى التى تحكم المجتمع وتصرفه في معظم شئونه . .

وأقول في معظم شئونه — لا في جميعها — لأن سياسة الحكم وسياسة المال قد انحرفت قليلاً أو كثيراً عن مبادئ الإسلام وأصول الشريعة ، منذ أن بدأ الملك العضوض على يدى معاوية ، وانقضت أيام الخلافة الرشيدة . ومهما تكن هذه الانحرافات جزئية في نشأتها ، فقد أخذت تعظم شيئاً فشيئاً وأخذت الشريعة السمحة يتقلص شيئاً فشيئاً كذلك عن نواحي من نشاط المجتمعات الإسلامية وشيئاً فشيئاً كان نمو الفقه الإسلامى يتقلص كذلك عن هذه النواحي ، بينما يستمر هذا النمو ويزداد في النواحي الطليقة التى تركت الحكومات المنحرفة للناس وللفقهاء أن يتحدثوا فيها ... ومن هنا نشأ ذلك التضخم في فقه العبادات في العصور المظلمة وذلك الانكماش في فقه النظم الاجتماعية ؛ لأن مجال العبادات كان هو المجال المأمون الذى لا تؤذى فيه الثروة ، بل ربما تفيد لأنها تشغل أذهان الرعية بالجدل الفقهي عن مناقشة الأوضاع الاجتماعية السائدة في تلك العصور ! !

ومع هذا فقد وصل الفقه الإسلامى في كافة حقوله إلى فتوحات عظيمة حتى القرن الثامن الهجرى ، وبخاصة في التشريع الجنائى ، والتشريع المدنى .

وكذلك في التشريع التجارى ، وقد كان هذا الحقل الأخير هو الذى استمدت منه أوروبا نقلاً عن المجتمع الإسلامى في الأندلس وأفادت منه فائدة كبرى في تشريعها التجارى الحالى (١) ولكن هذا الفقه قد وقف نموه أو كاد منذ القرن الثامن الهجرى وذلك تبعاً لركود المجتمع الإسلامى ذاته بحيث لم يعد يجد فيه من التغيرات والحاجات ما يستدعى اجتهاداً فقهياً ذا بال . . حتى إذا قفزت الحياة قفزاتها الواسعة في القرون

(١) قلا عن الأستاذ الكبير محمد صالح أستاذ القانون التجارى



الثلاثة الأخيرة وتجدد المجتمع الإنساني طفرة ، لم يكن الفقه الإسلامى على استعداد لمسيرة الحياة المتوثبة . وبذلك وجدت فجوة تاريخية ضخمة فى تسلسل هذا الفقه ومسارته للحياة الجديدة ، وحاجاتها التى تضاعفت أضعافا كثيرة .

فماذا نصنع نحن اليوم إذا أردنا تحكيم الشريعة الإسلامية فى مجتمعنا الحاضر ؟  
إن أمامنا طريقين اثنين :

الأول : أن نتابع خطوات الفقه الإسلامى من حيث وقفت ، السكى نستجد من البحوث ما يملأ هذه الفجوة الواسعة العميقة والسكى تكون هذه التنمية طبيعية لا مصطنعة فإنه يجب أن نتبع الأحوال الاجتماعية ، والحاجات اليومية التى برزت وتسلسلت فى خلال القرون الثلاثة الأخيرة لتتابعها بدراسات فقهية متطورة متسلسلة حتى نجيء بها إلى العصر الحاضر ، فى تسلسل طبيعى حتى ، كالذى تم فى القرون الثمانية الأولى . ولما كانت الأحوال الاجتماعية الماضية لا يمكن الإحاطة بها على وجه الدقة فإن عملنا إذا سيكون قائما على فروض ، لأننا من الزلل فيها . فضلا على أنها ستكون محاولة اصطناعية لأن الحاجة الواقعة التى تستلزم تشريعا معينا ليست هى التى تلجئنا إلى هذه المحاولة ، إنما هى مجرد افتراضات لحاجات لانحس بها اليوم ، لأن عجلة الزمن قد تجاوزتها فى سير الزمان الطويل .

وبغير تنمية الفقه الإسلامى على هذا النحو حتى نصل به إلى الوقت الحاضر ، يصبح رجوعنا إلى هذا الفقه فى الجانب الاجتماعى — لغير مجرد الاسترشاد — عملية تعسفية لا نأمن بحلول كاملة لمشكلاتنا الواقعية . .

الثانى : أن نرجع مباشرة إلى الشريعة الإسلامية . إلى مبادئها العامة وتشريعاتها الكلية . نستلهمها حلولا تطبيقية لمشكلاتنا المعاصرة . كما فعل من قبلنا من فقهاء الإسلام حينما دعته حاجات زمانهم إلى استلهم تلك الشريعة . مسترشدين مع هذا بطريقةهم فى التطبيق ومستعينين بما وصلوا إليه من أحكام ... وهذا فى نظرى هو الطريق المعقول . إن لم يكن هو الطريق الوحيد<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا الطريق سنسير فى تشخيص مقومات المجتمع الإسلامى ، الذى نعتقد أنه مجتمع المستقبل . لبالقياس إلى العالم الإسلامى وحده ، بل بالقياس إلى العالم الإنسانى .

(١) هذا رأى . ولكننى أرجو حضرات القراء الذين يمن لهم مخالفته أو تعديله أن يوافونى بأرائهم فى هذا الشأن لعل فيها هدى . فإن على وشك أن أجمل هذا الرأى هو قاعدتى فى تصور المجتمع الإسلامى الحديث الذى يمكن أن ننشئه اليوم أو نشتاقه . وعلى الله التوفيق ...

# النشريع الجنائي الاسلامي

للأستاذ عبد القادر عوده

## أركان السرقة

عرفنا السرقة فيما سبق بأنها أخذ مال الغير خفية . وظاهر من هذا التعريف أن أركان السرقة أربعة : —

- ١ — الأخذ خفية .
- ٢ — أن يكون للأخوذ مالا .
- ٣ — أن يكون للمال مملوكا للغير .
- ٤ — القصد الجنائي .

## الركن الأول

### الأخذ خفية

معنى الأخذ خفية :

هو أن يؤخذ الشيء دون علم المجني عليه ودون رضاه ؛ كمن يسرق أمتعة شخص من داره في غيبته أو أثناء نومه ، أو من يسرق حاصلات من جرن في غيبة صاحبها أو أثناء نومه ؛ فإن كان الأخذ في حضور المجني عليه وفي يقظته ودون مغالبة فالفعل اختلاس لا سرقة ، وإن كان الأخذ دون علم المجني عليه ولكن برضاه فالفعل لا يعتبر جريمة .

الأخذ التام :

ويجب في الأخذ أن يكون تاما ، فلا يكفي لتكوين الجريمة أن تصل يد الجاني لشيء المسروق بل يجب أن يأخذ الجاني للمسروق أخذا تاما ، ويعتبر الأخذ تاما إذا توفرت فيه ثلاثة شروط :

أولها : أن يُخرج السارق الشيء للمسروق من حرزه المعد لحفظه .

ثانيها : أن يخرج السارق الشيء المسروق من حيازة المجني عليه .

ثالثها : أن يدخل الشيء المسروق في حيازة السارق .

فإذا لم يتوفر أحد هذه الشروط اعتبر الأخذ غير تام وكانت عقوبة السرقة التعزير لا القطع ؛ فمن تسور داراً ليسرق منها فضبط قبل أن يصل إلى شيء مما في الدار ، أو ضبط وهو يجمع المتاع ؛ ومن دخل زريبة ليسرق منها دابة ففك قيدها أو اعتلى ظهرها ثم ضبط قبل أن يخرج بها ؛ ومن دخل جرنًا ليسرق منه قمحاً في غرارة مثلاً فضبط وهو ملاً الفرارة ، أو ضبط بعد ملئها وهو يحاول أن يحملها أو ضبط بعد أن حملها وقبل أن يخرج بها من الجرن ، فكل هؤلاء لا يعتبر أحدهم آخذاً خفية ؛ لأن ما أتاه من الأفعال لم يخرج الشيء المراد سرقة من حرزه ؛ أي المحل المعد لحفظه . وما دام المال لم يخرج من حرزه فهو لم يخرج من حيازة المجنى عليه ولم يدخل في حيازة الجاني (١) .

ويترب على اشتراط الأخذ التام أن لا يقطع في سرقة لم تتم ، فكل ما اعتبره اليوم شروعاً في سرقة يعاقب عليه بالتعزير ولا يعاقب عليه بالقطع .

ولكن أصحاب المذهب الظاهري يوجبون القطع كلما تناولت يد السارق الشيء المسروق ولو لم يخرج به من حرزه ، فمن أخذ وهو يجمع المتاع من منزل المجنى عليه وقبل أن يحمله ويخرج به ، أو أخذ وهو يحمله وقبل أن يخرج به ، فإنه يقطع عندهم ما دام قد ابتدأ فعل السرقة بدءاً مادياً لأنه بهذا البدء يعتبر سارقاً .

وأساس مخالفة الظاهريين لغيرهم أنهم لا يشترطون الحرز في السرقة ، وأنهم يعتبرون الأخذ تاماً بمجرد تناول الشيء بقصد سرقة ، ولو لم يخرج الشيء من حرزه ومن حيازة المجنى عليه القانونية ويدخل في حيازة الجاني بصفة نهائية ، ولكن الظاهريين مع ذلك يفرقون بين السرقة والاختلاس ، ويرون القطع في السرقة دون الاختلاس (٢) .

وعبارة الأخذ خفية في الشريعة يقابلها لفظ الاختلاس Soustraction في القوانين الوضعية ، ويشترط ليكون الاختلاس تاماً في القوانين المصرية والفرنسية أن يخرج الشيء من حيازة المجنى عليه ، ويدخل في حيازة الجاني ، ومعنى هذا أن الشريعة تشترط زيادة على ما تشترطه القوانين الوضعية أن يخرج السارق الشيء المسروق من

(١) المفتي ج ١٠ ص ٢٤٩ ، ٢٥٩ - المذهب ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٢٩٧ - كشف القناع ج ٤ ص ٧٩ نهاية المحتاج ج ٧ ص ٤٢١ - أسنى المطالب ج ٤ ص ١٣٨ ، ١٤١ - شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ - بدائع الصنائع ج ٧ ص ٦٥ - شرح الزرقاني ج ٨ ص ٩٨ المدونة ج ١٦ ص ٧٢ - شرح الأزهاري ج ٤ ص ٣٦٧ .  
(٢) المحلى ج ١١ ص ٣١٩ ، ٣٣٧ .

حرزه ، وهذه الزيادة شرط لا بد من توفره في كل سرقة معاقب عليها بالقطع عند أصحاب المذاهب الأربعة وعند الشيعة الزيدية .

أما الظاهريون فلا يشترطون الإخراج من الحرز كما قدمنا ، ويكتفون بأن يتناول الجاني الشيء بقصد سرقة لا اعتباره أخذاً له خفية .

وتتفق الشريعة مع القانون المصري والفرنسي إذا كانت السرقة واقعه على مال غير محرز ، فهذه السرقة لا قطع فيها ، وعقوبتها التعزير ، ويكفي فيها لاعتبار الأخذ تماماً أن يخرج الشيء المسروق من حيازة المجني عليه ويدخل في حيازة السارق ؛ فمثلاً إذا سرق الجاني دابة المجني عليه أثناء سيرها في الطريق دون حارس ، فإن مجرد ركوبه للدابة يعتبر أخذاً تاماً لأنه يدخلها في حيازة الجاني ويخرجها من حيازة المجني عليه .

وتتفق الشريعة أيضاً مع القانون المصري والفرنسي إذا كان الفعل الحاصل من الجاني مما يعتبر في الشريعة اختلاساً ، فإن الاختلاس عقوبته التعزير لا القطع ، ويكفي في حالة الاختلاس لاعتبار الفعل تماماً أن يخرج الشيء المختلس من حيازة المجني عليه ويدخل في حيازة المختلس ؛ فمن خالس المجني عليه وخطف من يده ورقة مالية أو أخذ ثوبه من جواره فإن الاختلاس يعتبر تاماً بمجرد دخول الورقة المالية أو الثوب في حيازة المختلس ولو لم يبرح محل الاختلاس .

وإخراج الشيء المسروق من حرزه يتبعه دائماً إخراج هذا الشيء من حيازة المجني عليه ، فمن يسرق من زريبة أو منزل أو دكان يعتبر أنه أخرج المسروق من حيازة المجني عليه بمجرد إخراج المسروقات من الزريبة أو المنزل أو الدكان ، وكذلك من يسرق من جيب إنسان يعتبر أنه أخرج المسروقات من حيازة المجني عليه بمجرد إخراج المسروقات من الجيب ، لأن الجاني في هذه الأحوال جميعاً يزيل عن المسروقات يد المجني عليه .

وإخراج الشيء المسروق من حيازة المجني عليه لا يتوقف دائماً على خروج السارق به من الحرز ، فقد يخرج المسروق من حيازة المجني عليه مع بقاء الجاني في الحرز كما لو ألقاه الجاني في الخارج ، وقد يخرج المسروق من حيازة الجاني مع بقاءه وبقاء السارق في الحرز ، مثال ذلك أن يبتلع السارق المسروقات في الحرز إذا كانت مما لا يفسد ، بالابتلاع كجواهر أو نقود ابتلعها السارق داخل الحرز ؛ ففي هاتين الحالتين وأشباههما تدخل المسروقات في حيازة السارق وتخرج من حيازة المجني عليه قبل أن يخرج السارق من الحرز ، وفي هاتين الحالتين يعتبر الأخذ تاماً لأن المسروق أخرج من حرزه ،

ولأن الأخذ التام عند جمهور الفقهاء يتوقف على إخراج المسروق من الحرز لاعلى خروج السارق<sup>(١)</sup>.

أما إذا كان الشيء الذي ابتلع في الحرز مما يفسد بالابتلاع كاللبن والحلوى فالفعل لا يعتبر سرقة في الشريعة وإنما هو إتلاف؛ والقاعدة عند فقهاء الشريعة أن كل ما استهلك في محل الحادث فهو متلف لا مسروق، سواء استهلك بواسطة أكله أو شربه أو إراقته أو تمزيقه أو تحريقه إلى غير ذلك من وسائل الإتلاف<sup>(٢)</sup>.

#### نظرية اليد المعترضة:

ويرى أبو حنيفة أن إخراج الشيء المسروق من حرزه ومن حيازة المجنى عليه لا يستتبعه حتما دخوله في حيازة الجاني؛ ومثل ذلك أن يأخذ السارق متاعا فيلقى به إلى خارج المنزل، ثم يخرج ليأخذه فيجد أن غيره عثر عليه وأخذه، أو أن يسوق اللص دابة حتى يخرجها من الزريبة فإذا خرجت تلقاها لص آخر مصادفة فأخذها؛ ففي هاتين الحالتين وأمثالهما يرى أبو حنيفة أن المسروق لم يدخل في حيازة السارق، لأنه لا يدخل في حيازة السارق إلا إذا خرج من حيازة المجنى عليه، ويد المجنى عليه تظل قائمة على الشيء حتى يخرج من حرزه، وبالإخراج تزول يد المجنى عليه عن الشيء المسروق، فإذا أخرج اللص الشيء المسروق من الحرز زالت عنه يد المجنى عليه، وإذا عثر عليه بعد إخراجه لص آخر فأخذه فقد اعترضت يد اللص الأخير يد اللص الأول الذي أخرج المسروق، وانتهى الأمر بخروج الشيء المسروق من حيازة المجنى عليه ليدخل في حيازة اللص الثاني، دون أن يدخل في حيازة الجاني الذي أخرجه من الحرز<sup>(٣)</sup>.

ويسمى أبو حنيفة هذه النظرية اليد المعترضة، ويرتب عليها عدم قطع السارق ولو أنه أخرج الشيء المسروق من الحرز، ويرى أن العقوبة في هذه الحالة هي التعزير<sup>(٤)</sup>. ويرى زفر أيضاً أن السارق لا يقطع في هذه الحالة؛ ولكن حجته في عدم القطع أن الأخذ لم يتم. ذلك أن الأخذ من الحرز لا يتم إلا بالإخراج منه. والرمي ليس بإخراج، والأخذ من الخارج ليس أخذاً من الحرز. ويرد عليه بأن المال ياتقائه في الخارج

(١) المغني ج ١٠ ص ٢٦١ — شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٤ — المهذب ج ٢ ص ٢٩٧

كشف القناع ج ٤ ص ٧٩، ٨٠ — مواهب الجليل ج ٦ ص ٣٠٨

(٢) نفس المراجع السابقة.

(٣) شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤١.

(٤) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٦٥.



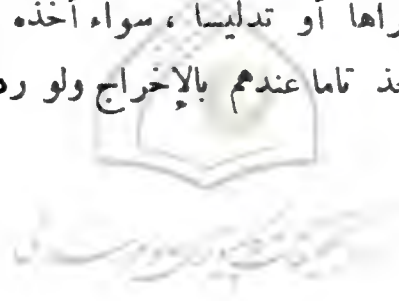
أصبح في حكم يد السارق وإن كانت يده غير ثابتة عليه ، فإذا خرج فأخذه فقد ثبتت يده عليه ، وأن الرمي ليس إلا الأخذ من الحرز (١) .

والمعتبر في المذهب هو رأى أبي حنيفة .

أما في مذهب مالك والشافعي وأحمد فيرون أن المسروق يدخل في حيازة السارق حكماً بمجرد أن يخرج السارق من حيازة المجنى عليه ولو لم يضع السارق يده عليه وضعا مادياً ، وإذن فاليد المعترضة لا تختار المسروق ألا بعد دخوله في حيازة السارق ، ومن ثم تتم شروط الأخذ خفية (٢) .

وظاهر مما سبق أن أبا حنيفة لا يعتبر السارق حائزاً للمسروق إلا إذا احتازه حيازة مادية بعد إخراجه من حيازة المجنى عليه ، أما الآخرون فيعتبرون الحيازة الحكيمة .

ومذهب الشيعة الزيدية يتفق مع المذاهب الثلاثة ؛ فيكفي لقطع السارق عند الزيديين أن يُخرج المسروق من حرزه بأية وسيلة وأن يكون الإخراج بفعله حملاً أو رمياً أو جراً أو إكراهاً أو تدليساً ، سواء أخذه بعد إخراجه أو تركه أو أخذه غيره ؛ بل يعتبر الأخذ تاماً عندهم بالإخراج ولو رد الجاني المسروق بعد إخراجه (٣) .



(١) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٦٥ .

(٢) المذهب ج ٢ ص ٢٩٧ — أسنى المطالب ج ٤ ص ١٣٨ ، ١٤٧ — مواهب الجليل

ج ٦ ص ٣٠٨ المفتى ج ١٠ ص ٢٥٩ — المدونة ج ١٦ ص ٧١ .

(٣) شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٢ .

من تاريخنا :

## إزاهبت ريح الإيمان

لسماحة الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسنی الندوی

وكيل ندوة العلماء بالهند

« إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالأعاجيب في العقيدة والأعمال والأخلاق ، ورأى الناس روائع من العجاعة واليقين ، والعفة والأمانة ، والإيثار والإنكار الذات ، وروح التطوع والاحتساب ، والتواضع في المظاهر ، وكبر النفس وسمو النظر ، ورأوا آيات من العدل والرحمة والمحبة والوفاء كادوا ينسونها ويقطعون منها الرجاء . »

وقد هبت هذه الريح المباركة في فترات تاريخية قصرت أحياناً وطالت أحياناً ، وهي معلومة مسجلة في تاريخ الدعوة الإسلامية والتجديد الإسلامي . وقد هبت هذه الريح في الهند في فجر القرن الثالث عشر الهجري يوم قام الإمام السيد أحمد الشهيد وأصحابه بدعوة التوحيد والتجديد والجهاد<sup>(١)</sup> فتجددت ذكريات القرون الأولى .

وقد رأينا أن نيق هنا روايات من هذا التاريخ العجيب في أسلوب قصص لا يشوبه شيء من المبالغة فضلاً عن الكذب تدل على نفسية هذا الجيل المؤمن المجاهد وخلقه ومبلغ تأثير الدعوة الإسلامية والتربية الإيمانية في نفوس تلاميذها ؛ وهي شذرات مانتقطة من تاريخ ضخم يشغل آلاف من الصفحات يطلع عليها القراء تبعاً في أعداد المجلة — إن شاء الله — أبو الحسن الندوي

في آخر عشره بالدينيا

(١)

قبل أن تنشب الحرب في ساحة مهيار — على ثلاثة أميال من مردان<sup>(٢)</sup> — أقبل إلى أمير المجاهدين السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد شاب قوى نشيط تلوح على محياه آثار النجابة والشرف ، ويظهر أنه من أقارب السيد وعشيرته .

أقبل الشاب وخاطب السيد بصوت فيه الإجلال وفيه دالة الأخوة والقرابة، وبسطة الجندى ، وقوة الشباب :

(١) سبق تعريف هذه الدعوة ولأممها في العدد الرابع من السلسلة الأولى « المسلمون » .

(٢) مديرية مشهورة في مقاطعة الباكستان الشمالية الغربية .

يا أخى أيها الأمير : إني قد لحقت جندك وفارقت وطني لأنك من أهل قرابتي وعشيرتي فإذا منحك الله ملكا ، لم أكن بك شقياً ولا بد أن تعود على بفضل ، وهأنذا أتوب إلى الله بما قصدت ، وأبايعك على الجهاد في سبيل الله خالصاً مخلصاً ؛ فبايعني يا أخى ، وادع الله لي بالسداد والاستقامة .

سمع السيد كلام أبي محمد وسمع الناس ، وبايعه السيد على الجهاد ودعا له ، وكان منظراً رائعاً جاشت له الصدور وفاضت له العيون ؛ فلا يرى في القوم إلا بالك قد خنقته العبرات . وسار السيد أبو محمد — والدموع جارية — وسمى الله ووضع رجله اليمنى في ركاب فرسه ونادى بأعلى صوته :

أشهدكم أيها الإخوان أني لم أزل أركب الجواد زهواً وخيلاء لا أريد به وجه الله ، وهأنذا أركبه الآن التماساً لرضا الله سبحانه وطمعاً في ثوابه .

نشبت الحرب بعد قليل واشتبك الفريقان ، وكثر القتلى والجرحى ، وكان النصر للمجاهدين .

يقول فتح علي العظمى بادی : بينما أنا أمرٌ بين القتلى والجرحى إذا بالسيد أبي محمد يجود بنفسه وقد أثخنته الجراح ، فدنوت منه وصرخت في أذنه يا أبا محمد : إن الله قد نصر أمير المؤمنين وهزم الأعداء . ولم يلتفت أبو محمد ولم يتكلم وما زال يلهث شفتيه ويقول : « الحمد لله الحمد لله » فحملته إلى القرية وبه رمق ونفس يتردد وهو يلهث شفتيه ويحمد الله ، وما لبث أن لفظ نفسه الأخير .

\*\*\*

( ٢ )

جندى قوى العضلات شديد البطش يظهر أنه كان مصارعاً التحق بالمجاهدين قبل وقعة مهيبار ، وفيه بقية من حياته الأولى ونزعة من نزعات الشباب يحلق لحيته ولا يبالي ، ويراها السيد الإمام مع شدته في أمر الشرع وإنكار المنكر ولا ينهأ عن ذلك لحكمة يعلمها .

وكان الرجل مع صلابته شديد الحب قوى الإخلاص للسيد الإمام . ذات يوم فاجأ السيد وقد حلق الجندى لحيته ، فأمر يده على ذقنه وقال في رفق ولطف : يا أخى ! ما أملت من ذقن ! وتعدت كلمة السيد في قلب الرجل ففاض الدمع واستجيا في نفسه وسكت .

ولما جاءه الحلاق وأراد أن يخلق لحيته قال له الجندي : إليك عنى أيها الرجل إن ذقنا قد مسته يد السيد لا تمسه يد حلاق ، وأعني لحيته منذ ذلك اليوم .  
 وكان الجندي في فرقة الفرسان مع السيد الإمام يوم مهيار ، وكان يمر على الصف وينادي : سوا صفوفكم أيها الإخوان ، وكونوا كالبنيان المرموس .  
 وبينما هو يطوف على الصفوف إذ جأته قنبلة أصابته في كشحه الأيسر فوقع على الأرض جريحاً ، وأخبروا السيد بالحادثة فاسترجع وتأسف .  
 وأدركه الناس وبه رمق وحملوه إلى حجرة في مسجد القرية ولسانه رطب بذكر الله وهو يسأل مرة بعد مرة لمن كان النصر والأمر غمة لا يدري من المنتصر حتى انكشفت الحرب عن انتصار السيد الإمام وانهزام الأعداء ، فأخبروه وبشروه بالنصر فقال : « الحمد لله » وفاضت نفسه .

\* \* \*

( ٣ )

شاب في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمره وهو قريب العهد بالعرس ، قتل أبوه في معركة قريبة فما رأى سروراً ضاحكاً منذ ذلك اليوم ، وسمعه الناس يقول لأصدقائه وأترابه : إن شهدت معركة شفيت نفسي وقتلت في سبيل الله .  
 أخبروا السيد الإمام بكلمة السيد موسى وهو ابن ابن أخت السيد أحمد على الشهيد فأحب أن يكون معه حتى لا يتهور ولا يأخذه طيش الشباب فقال له : اعط فرسك رجلاً آخر وكن معنا يا ولدي ، ولكن الشاب سأل جده أن يتركه وشأنه ، وأن يسمع له بأن يكون في فرقة الفرسان تحت قيادة الضابط عبد الحميد خان فأذن له السيد وعرف عزيمته .

ولما أقبل العدو في ساحة مهيار ، وهجموا على المجاهدين رفع الفارس الشاب عناء فرسه ، وغاص في صفوف الأعداء وخرقها ووضع فيهم السيف : يقتل ويجرح حتى شُجَّ رأسه وانخلعت كتفاه ووقع على الأرض جريحاً .

يقول خادى خان : بينما أمر إذ سمعت صوتاً من بعيد كأن قائلاً يقول « الله الله » ولما دنوت عرفت أنه السيد موسى وقد سال دم الرأس إلى الوجه فأطبق عينيه فدنوت من الجريح وقلت له يا موسى : أأحملك وأنقلك إلى مكان ؟ قال من أنت ؟ ولمن كاه الفتح ؟ قلت أنا خادى خان وقد فتح الله لسيدنا الإمام ! قال « الحمد لله » ونشط قليلاً وقال : دونك ! حمله على ظهوري ونقلته إلى القرية حيث انتقل إلى رحمة الله .

( ٤ )

بقى شيخ الإسلام مولانا عبد الحى البرهانوى خلف المجاهدين وخلفه أميرهم ( السيد أحمد ) لمصالح دينية وحاجات يقضيها ثم يلحقه ، فبقى الشيخ يحسن ويتطلع إلى الطلب وكأنه حوت أخرج من الماء أو منى يمشى فى الحلاء ، ولما جاءه الطلب لم يتألك فرحاً ؛ فكان يجرى ويعدو ويقول للناس : هاقد طلبنى الأمير ، هاقد طلبنى الأمير . ولم يزل يحجوب القفار والصحارى ، ويحتاز الأودية والبرارى ، ويعبر الأنهار العميقة ويطلع الجبال الشاخنة حتى وصل إلى ثكنة المجاهدين فى حدود الهند الشمالية الغربية . ولما سمع السيد الإمام بقدم شيخ الإسلام استبشر وفرح به كثيراً ، واستقبله من بعيد وأكرم مثواه .

ووصل شيخ الإسلام وكتب إلى أصدقائه فى الهند : كنت أسمع وأقرأ فى الكتب أن الرجل إذا دخل الجنة نسى أحزان الدنيا وآلامها وزال عنه التعب والوعناء وقال : « الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » وقد وقع لى هكذا فلما وصلت إلى أصدقائى وإخوانى وصرت فىهم زالت عنى وعناء الطريق . ومكث شيخ الإسلام فى عسكر المجاهدين يفيدهم فى العلم والدين ، ويحكم بين المسلمين ويقضى بين المتخاصمين حتى جاءه الأجل . ولما حضرته الوفاة أرسل إلى شيخه السيد الإمام — وهو أصغر منه سناً — وقال : أردت أن أموت شهيداً فى ميدان القتال وأراد الله أن أموت مريضاً على الفراش . ثم سكنت نفس الشيخ وفاضت روحه وهو يقول : اللهم الرفيق الأعلى ، ولحق بالرفيق الأعلى .

\*\*\*

( ٥ )

### من الترف إلى الشُّطف

كان « ولاية على العظيما بادي » من أبناء اليسار والشرف نشأ نشأة أبناء الأمراء وكبار الأغنياء ، أبوه ( الشيخ فتح على ) عالم البلد ومن أعيانها وسراتها ، وجده — لأمه — رفيع الدين حسين خان ناظم مقاطعة بهار ( رئيسها الإدارى ) . تعلم « ولاية على » فى بيته وبلده ما تعلم ثم سافر إلى لكهنؤ — بلده العلم ودار الحكومة



ومركز الحضارة — فكان فيها مثلاً في أناقة اللباس وحسن الهندام وجمال الشارة ، وكان يؤثر أغلى الملابس وأغرها ، ويكثر من الطيب والعطور .

اتفق قدوم الإمام السيد أحمد مع ركبته الميمون في لسكهنؤ ، وجاء الشيخ محمد أشرف السكهنؤي يزور السيد ويختبر علمه وجاء معه تلميذه النجيب « ولاية علي » ليشهد انتصار أستاذة ، وسأل الشيخ محمد أشرف السيد عن معنى قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وتكلم السيد عن الآية وبدأ يفسرها في أسلوبه العجيب ، فسمعها كلاماً لم يسمعه من قبل ولم يقرأه في كتاب ، وبكى الشيخ حق أخضات لحية وبايعا السيد ولزما الشاب « ولاية علي » وصحبه إلى قريته .

وهنا في القرية تغير الشاب عما كان عليه من التجمل في اللباس ، والتنعم في العيش ، وهانت في عينه المظاهر ، وملكت قلبه حقائق هي أعلى وأحلى من اللبس والمطعم . ورأى حياة أجمل وأقرب إلى الطبيعة من الحياة المصطنعة الأولى فاندمج فيها واشتغل مع زملائه بكل ما يشتغلون به من عمل وحمل ، ورأى أنه أنعم بالاً وأهنأ عيشاً من ذي قبل .

وبينما هو ذات يوم يشتغل بالماء والطين — وهو في ملابس متواضعة — إذ جاء خادمه القديم وقد أرسله أبوه مع أربع مائة ريبة ومجموعة كبيرة من الملابس الفاخرة ومتاع غير ذلك ، وصادفه الخادم — وقد تغيرت هيئة الشاب — فسأله عن ولاية علي ، فقال : أنا ولاية علي ! قال الخادم لا تسخر مني ، فإنما أسأل عن ولاية علي ابن العالم الكبير الشيخ فتح علي ، وسبط الأمير الجليل رفيع الدين حسين خان ، فقال إذا لم تصدقني فاذهب وابحث عن صاحبك ، فذهب الخادم وجعل يسأل عن السيد ولاية علي والناس يشيرون إلى الأول ويقولون هو ذا ! فرجع الخادم وبكى ، وقدم إليه المال والملابس ، وذهب الشاب إلى شيخه ووضع كل ذلك بين يديه ليقسمه على من يستحقه ، ويضعه حيث يرى ، ثم عاد فاشتغل مع زملائه كأن لم يقع شيء !

# ندوتنا

\* اللغة العربية فى أندونيسيا

\* نحية من عجبون

\* الشهاب والمسلمون

\* الكتب والفتاوى

جاءتنا هذه الرسالة اللطيفة من السيد محمد بسيونى عمران من « سمبس » فى جزيرة « كليمنتن » الغربية إحدى جزر أندونيسيا، يقول فيها :

قرأت فى العدد العاشر من مجلة « المسلمون » تحت عنوان « ندوتنا » : وهذا باب جديد من أبواب مجلتك أيها القارىء العزيز نفتتحه ليكون صلة بيننا وبينك وندوة نجتمع فيها كلما عن لك رأى أو خاطر فالإسلام دين جماعة ، وأمتة — حين تصدق — لا يمكن إلا أن تكون موحدة العاطفة والفكرة . . . وهذه الوحدة لا تخلص إلا إذا تبادل المسلمون النصيح وأخلصوا فيه ، وهذه مهمة الباب الجديد والله المستعان . التحرير . اهـ .

إنى لأشكر الله تعالى على توفيقكم لخدمة الإسلام والمسلمين بإنشاء مجلتكم « المسلمون » الغراء ، ولقد قرأنا ما فيها من العدد الرابع إلى العاشر من المقالات النافعة بقلم التحرير وأقلام العلماء الأعلام من الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمؤرخين والسياسيين ما نرجو أن تكون خير خلف المنار الذى مات بموت صاحبه العلامة المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى ، ولقد كنت بعد فقد المنار لا أقرأ من الصحف المصرية إلا صحيفة الفتح الغراء لصاحبها السيد المفضل محب الدين الخطيب ، ولم يصل إلى عدد منها إلا أن منذ سنة ، وأرجو الله أن تكون لا تزال تصدر كأختها مجلة « المسلمون » فلا شك أنهما من خير الصحف الإسلامية نفعاً وخدمة للإسلام والمسلمين .

لقد كتبت إلى مؤتمر نهضة العلماء الذى عقد فى « فليمين » فى سومطرة الجنوبية فى

شعبان عن وجوب نشر اللغة العربية بين مسلمي أندونيسيا خصوصاً ، ومسلمي الأقطار عموماً ، وهأنذا أكتب في الموضوع نفسه إلى « المسلمون » لما أعتقته من أهميته .  
إنه لا ينبغي عليكم أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم عربي كما قال الله تعالى : « وإنا لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » وقال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًا لتنذر أم القرى ومن حولها » .

وعلى هذا فينبغي لنا نحن المسلمين الأندونيسيين نشر اللغة العربية بين أمتنا بقدر الاستطاعة لقوله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » واللغة العربية من أعظم أسباب التعارف بين المسلمين في أقطار الدنيا ، والاتصال بهم والتعاون معهم على البر والتقوى . فإنه لا يخلو أى قطر من الأقطار الإسلامية من العلماء الذين يعرفون اللغة العربية ، ونحن أشد الناس حاجة إلى التعارف بين إخواننا المسلمين والاتصال بهم ، وقد ثبتت هذه الأخوة بنص القرآن : « إنما المؤمنون إخوة » وكيف يمكن القيام بموجب هذه الأخوة مع عدم التعارف والاتصال فيما بيننا ؟ ولا يفهم الدين الإسلامى صحيحاً إلا بفهم اللغة العربية . وقد قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى رسالته المطبوعة مع كتاب الأم : « وأولى الناس بالفضل فى اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله عليه وسلم . ولا يجوز — والله أعلم — أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غيره فى حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه ... ثم قال : فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب بما بلغه جهده حتى يشهد به إلاً إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح وغير ذلك » اهـ ص ٩ .

إنى رأيت أن الإكثار من خطب الجمعة وغيرها بغير اللغة العربية — ماعدا الأركان — كلغتنا الأندونيسية تزهيد فى تعلم اللغة العربية ، وتثبيط عنه ؛ فإن الحاضرين المستمعين للخطبة بلغتهم يفهمونها ويستغنون بها عنها . ولكن كيف وقد قال من قال من العلماء بشرط كون الخطبة بالعربية كما قال فى شرح المذهب : فيه طريقان أحدهما وبه قطع الجمهور يشترط لأنه ذكر مفروض ، فشرط فيه العربية كالتشهد وتكبيرة الإحرام مع قوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

وعليه فإنى أرى الأحسن أن تكون الخطبة كلها بالعربية ولكن تترجم بلغات الحاضرين فى أثناء قراءتها أو قبلها أو بعد أداء صلاة الجمعة .

هذا رأي قدمته إلى مؤتمر نهضة العلماء في « فليمين » والآن أقدمه إلى قراء « المسلمون » الكرام وأرجو أن يكون مقبولا لدى المسلمين ، ولا سيما الأندونيسيين ؟

\*\*\*

و« المسلمون » تكبر هذه الروح في الأخ السيد محمد بسيوني عمران ، وهي روح لمساها حين سعدنا بزيارة أندونيسيا ، وإن كنا لم نسعد بزيارة بلدته « سمبس » . ولعله مما يثلج صدر القارئ الكريم أن يعلم أن أندونيسيا تقيم أكبر جالية عربية في الشرق ، وأن علماءها يجيدون العربية وإن كان بعضهم لا يستطيع التحدث بها لعدم الممارسة ، وأن من بين إخواننا الأندونيسيين مئات من المشتركين في « المسلمون »

وفي رسالة كذلك من أندونيسيا من « عمبون » ، يقول السيد عبد القادر سالم باحلوان : « لقد اشتركت في مجلتكم الغراء « المسلمون » التي قمت برئاسة تحريرها بواسطة « المكتبة النهائية » بمدينة سورابايا ، وفرحت كثيراً بما فيها من المقالات النفسية والدرر الثمينة ، التي تناقش البحوث الإسلامية والمسائل الدينية التي لا تزال خافية على كثير من المسلمين والمسلمات . وبالاختصار ، إن مجلة « المسلمون » هي دائرة معارف للإسلام .

ورجائي الأكيد من سعادتكم أن تجعلوا موضع اهتمامكم التام على الملاحظات :  
١ — الآيات الكريمة التي يستدل بها في المقالات المنشورة في مجلة « المسلمون » ، أرجو أن تذكرها بملحقاتها اسم السورة وأرقام الآيات .

٢ — أسماء الكتاب أو علماء الغرب الذين يستدل بأقوالهم وآرائهم أرجو أن تكتبوا أسماءهم أيضا بالحروف اللاتينية بعد ذكر أسمائهم بالحروف العربية . وأسأل الباري جل وعلا أن يسد خطواتكم وأعمالكم لما فيه صلاح وفلاح المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية الشقيقة ، ودمتم فوق مارمتم .

\*\*\*

ونحن نشكر للأخ السيد عبد القادر جميل عاطفته وتقديره ونرجو حضرات الكتاب الفضلاء أن يستجيبوا مشكورين لملاحظتيه .

وفي رسالة رقيقة من الأخوين السيد عبد الرحمن عبد الرازق ومحمد سآى محمد ، من بور سودان يقولان أكرمهما الله :

( نحن هنا بحمد الله على أحسن حال ، والدعوة إلى الله محفوظة كما حفظها الله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وبعد ، فإننا أيها الأخ لا نستطيع أن نعبّر عما في ضمائرنا إذا حاولنا شكرك وشكر من قاموا معك في إصدار المجلة « المسلمون » فقد كان لاقطاع « الشهاب » أثر سيء في نفوسنا ، وكنا نتمنى أن يظهرها الله من جديد ، وكانت هذه الأمنية تخالج أنفسنا في كل ساعة ودقيقة حتى أبرزها الله بفضلكم في ثوب جديد ؛ ولا عجب فالذى أنشأ الثانية ما هو إلا تلميذ أو صورة للإمام الذى أنشأ الأولى ، وعشنا حاول الطغاة أن يطفئوا نور الله سبحانه وتعالى : « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » فحمداً لله أن جعل لنا من « المسلمون » قبساً يضيء الظلمات لنا وشكراً لله الذى وفق صاحبها إلى هذا العمل المنتج ، ونتمنى من الله أن يقيمكم ذخراً للدعوة الإسلامية ) .

\*\*\*

وقد أرسل الأخوان مع رسالتهما بعض اشتراكات ، جزاهما الله كل خير ؛ وإنما « المسلمون » مع « الشهاب » كما قلنا في مقدمة العدد الأول من السنة الأولى :

( و « المسلمون » ليست إلا قبساً من أقباس هذا « الشهاب » تقفو أثره وتعيد في الناس سيرته في خدمة دعوة القرآن وتجلية فضائل الإسلام ، ومصدرها ليس إلا تلميذاً من تلاميذة « حسن البنا » الكثيرين رضى الله عنه وأرضاه ) .

وجاءتنا رسائل كثيرة يطلب فيها إرسالها الفضلاء أن نفتتح باباً للكتب الجديدة ، وباباً آخر للأسئلة والفتاوى .

\*\*\*

وقد افتتحنا باب الكتب في هذا العدد ، وسنفتتح الباب الآخر قريباً إن شاء الله .



# ثورة الفلاح المصرى المسلم

ضد التعصب والأجانب

للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

كان زعماء مصر ، وعلى رأسهم العالم العامل السيد عمر مكرم تقيب الأشراف ، يهدفون من وراء مبايعتهم « لمحمد على » زعيم الآرنؤود ، فى مايو من عام ١٨٠٥ ، أن يبدأوا حقبة جديدة فى حياة البلاد : فقد كانوا يريدون أن يحققوا لمصر استقلالها الذاتى ، وأن يقيموا نوعاً من الحكم أشبه بالحكم النيابى فيشعر الولاة أنهم وكلاء للشعب ، ولا يعملون إلا وفق إرادته . كما أعلنوا رغبتهم فى أن الحكومة الجديدة التى أقاموها ينبغى أن تعمل على أن تضع حداً للمظالم التى تميزت بها عهود العثمانيين والمماليك ، وأن تتعهد بأن تلتزم فى سياستها أحكام الشريعة الإسلامية ، وتعلى كلمة الحق والعدل .

ولكن الوالى الذى منحوه تلك السلطة العامة ليحكم البلاد ، وسمحوا له هكذا بأن يبنى ثمرات الثورات المتعاقبة ، التى قامت بها الأمة منذ أواخر القرن الثامن عشر : فى وجه مظالم إبراهيم ومراد بك ، ثم فى وجه نابليون ومنديو به ، ثم فى وجه الولاة العثمانيين ، وآخرهم خورشيد باشا الذى أرغمه الشعب على النزول من القلعة والرحيل عن البلاد — هذا الرجل لم يكن ينوى منذ بداية الأمر أن ينفذ شيئاً من تلك الأغراض . وإنما كانت الأهداف التى عمل لها منذ اللحظة الأولى هى أن يتخذ من إرادة الشعب أداة ، تمكنه من إدراك مآربه الذاتية : من الوصول إلى الحكم أولاً ، ثم من تأسيس « دولة » ثانياً . يحكمها هو فى حياته ، ثم يورثها لذريته من بعده ، ويستطيعون بواسطة استغلال مواردها وجهود أبنائها أن يستقلوا عن الدولة العثمانية ، وأن يوسعوا حدودها ، ما أمكن أن تسمح الظروف بأن تتسع ؛ ويعيشوا « أنصاف آلهة » ! لذا عمد محمد على بعد أن شعر بثبات مركزه وبأن الجو أصبح خالياً من المنافسين إلى إقصاء الزعامة الشعبية ، ثم إلى القضاء عليها . واتباع سياسة استبدادية غاشمة وحكم البلاد حكماً مطلقاً ، وكان كل همهم أن يجعل من مصر « إقطاعية » كبرى تعود ثمراتها إليه وحده وإلى أسرته ، ولم يكن ينظر إلى مصر إلا على أنها هذه المزرعة التى تعود

بالعز والحير الوفير ، والتي ساقها القدر بين يديه . وإلى المصريين إلا على أنهم الفلاحون : أى طبقة الأجراء والعمال ، التي كتب عليها أن تظل مسخرة ومستغلة ، لحساب السادة العثمانيين الطارئين ، مهما كان جنسهم أو كان أصلهم . فبدلاً من أن يضع ثقته في أبناء البلاد وضع ثقته أولاً في أبناء جلدته من « الأرناؤود » ، ثم لما فكروا في التردد عليه كونه جيشاً من السودانيين والمصريين ، ولكنه حرص كل الحرص على أن يجعل الرؤساء والضباط من الأرناؤود أيضاً ، ومن أبناء المماليك والأتراك من جنسيات مختلفة ؛ كما وضع ثقته أيضاً في الأجانب من كل لون ، وبخاصة الفرنسيين حتى تحول إلى أن أصبح أداة في يد السياسة الاستعمارية الفرنسية . وبهذا يمكن القول إن الثورة التي قام بها الشعب في مطالع القرن التاسع عشر — وكذلك الثورات التي سبقتها — قد فشلت في تحقيق الأغراض التي كانت ترمى إليها : من حيث تطبيق المبادئ الدستورية وتحديد علاقة الحاكم بالمحكوم ، وتأسيس نهضة البلاد التي كان يُتطلع إليها على أسس قومية إسلامية سليمة ، متفقة مع مشاعر الشعب وطبيعته ؛ وما ذلك إلا لأن محمد علي خان العهد وحول تاريخ مصر عن وجهته .

هذه — إذن — هي العقيلة التي أورثها محمد علي « رأس الأسرة الأرناؤودية » لأحفاده من بعده ، وهذا هو الاتجاه الذي حدده وأشار عليهم بأن يتبعوه ، وقد نجح هو إلى حد كبير في إضعاف الروح المعنوية ، إن لم يكن القضاء عليها ، وعود الشعب على النذل ، وكاد أن يجرده من كل نزعة إلى المقاومة . وسار خلفاؤه على نفس السياسة فكان على مصر أن تنتظر أكثر من نصف قرن حتى تستطيع أن ترفع صوتها ثانية ويتكون لها « وعى » جديد ، وتنبه لتعلن إرادتها وتشهر سيفها في وجه الطغاة والظالمين .

فكانت الثورة الثانية إذن ، التي تلت الثورة الأولى في خلال القرن التاسع عشر ، هي تلك التي نشبت في أواخر عهد « إسماعيل » . ولم يكن إسماعيل إلا بمثابة الوارث المستهتر المنرف المتلاف ، الذي ورث — من غير جهد — ضيعة عن جده ، وورث عنه في نفس الوقت طبيعته وعقليته ، فلم يكن له من هم إلا أن يتمتع بثمار تلك الضيعة ، ماشاء له غرائزه وأهواؤه أن يتمتع ، ويبدد منها من غير حساب للعواقب ما تملى عليه شهواته أو مطامعه أن يبدد ، وهو لا ينظر أيضاً في نفس الوقت لأبناء مصر إلا على أنهم أجراءؤه أو عبيده . ويضع ثقته — مثل جده — في الأجانب والفرنسيين وفي أبناء الأرناؤود والمماليك والعثمانيين ، الذين أصبح يطلق عليهم كلهم في ذلك الوقت بـ « الأتراك والشراكسة » ! !

كان إسماعيل حاكماً مطلقاً ، لا تحد إرادته بأى قيد ، كما كان هو الرأس الأكبر لدولة « الإقطاع » . وكانت عقليته فى حكم مصر هى عقلية القرون الوسطى — بالرغم من المظاهر الكاذبة والأشكال الزائفة التى اجتلبها من أوروبا اجتلاباً ، مقلداً فيها للأوربيين غير مدرك لروحها ، وغير شاعر أن ليس فيها غناء كبير لأمة مضطهدة مستغلة ، تحكم بالسوط « الكرباج » والسخرة — ولم يكن يدرى أن ملوك أوروبا وكبارهم كانوا يسخرون منه حينما دعاهم ليعلن لهم عظمتهم الجوفاء ، عند الاحتفال بافتتاح قناة السويس ( ١٨٦٩ ) الذى أنفق عليه الأموال الطائلة من دماء الشعب ، ومن دموعه ! فكانت السنوات العشر الأخيرة من حكمه من أسوأ العهود التى مرت بها مصر فى حياتها الطويلة وقاسى أبنائها فيها من العذاب والتنكيل والحرمان ما لا يمكن أن يقارن به إلا الصفحات السوداء من عهود الهمجية الأولى .

فتح إسماعيل مصر على مصراعيها للأجانب ، وأحاط نفسه بالمرابين ، وجعل قاعدة تعامله « الربا » ، حتى أغرق مصر بالديون التى لم تستطع أن تتخلص منها إلا بعد أعوام مديدة ، وبعد أن دفعت ثمنها لها استقلالها وحريتها . وكان رئيس وزرائه فى أكثر سنى حكمه هو « نوبار باشا » . ومن هو « نوبار » هذا ؟ إن هو إلا رجل أرمى مسيحى لا يعرف التكلم باللغة العربية . فاعجب لرئيس وزراء مصر ، البلد العربية المسلمة وهو غير مصرى ، وغير عربى ، وغير مسلم ؟ ولذا فإنه لم يكن إلا وكيلاً للأجانب ، وممهداً للاستعمار ؛ وهو الذى أوجد « المحاكم المختلطة » ، وهو الذى أسس « المحاكم الأهلية » بعد ذلك ، مدخلاً نظم الفرنسيين ومخلاً قانون نابليون محل شريعة الإسلام المطهرة .

أعلنت حكومة إسماعيل إفلاسها فى عام ١٨٧٦ ، وكانت قبل ذلك بعام قد باعت أسهم مصر فى قناة السويس إلى رئيس وزراء إنجلترا « اليهودى » ذررائلى ، بشمن بخس ، لا يزال موضع التندر فى دوائر الأوربيين ، وتؤلف « الأفلام » لرواية قصته الفكاهية المثيرة للسخرية ، وخضع إسماعيل لنفوذ الأوربيين ووضع رقبة تحت سكينهم ، ولكنه وضع رقبة البلاد معه أيضاً . فأنتهى « صندوق الدين » ثم فرضت « الرقابة الثنائية » على موارد البلاد ، ثم بلغت الكارثة ذروتها بتعيين وزيرين أوربيين أحدهما إنجليزى والآخر فرنسى فى وزارة مصر ، التى كان يرأسها « نوبار باشا » الأرمى أيضاً ؛ وذلك فى سنة ١٨٧٨ .

وفى نفس الوقت ، وبالرغم من حالة الذل والإفلاس هذه التى كان يعانها ، فإنه زج

بمصر في حرب عادت عليها بأبلاغ الضرر ، وهي « حرب الحبشة » ، فأظهرت ضعف الحكام ، وفسادة الإدارة وخيانة الرؤساء . فما كان منها إلا أن ولدت السخط ونشرت روح التذمر وخلقت الثورة . وكان كبار ضباط الجيش وقادته من متعصبى الأتراك والشراكسة الذين يجمعون بين العنصرية والجهل ، وكانوا أصفياء إسماعيل والمقربين إليه لأنه يعتبرهم من جنسه ، ولا يزال أبناء البلاد منبوذين ، بعيدين عن حظوته وعن نيل الرتب العليا .

كانت هذه الأسباب كلها هي العوامل العامة التي أدت إلى قيام تلك الثورة التي قادها وحمل لواءها « أحمد عرابي » والتي عرفت بعد ذلك باسمه . ولم يكن « عرابي » إلا فلاحاً مصرياً مسلماً ، ولد في قرية « هرية رزنة » إحدى ضواحي مدينة « الزقازيق » بمديرية الشرقية ؛ وقد تلقى العلم أولاً على يد والده الذي كان أحد علماء الأزهر ، ثم حضر هو في الأزهر بضع سنوات فدرس بعض العلوم الشرعية والعربية ، وكان من عائلة صالحة اشتهرت بتقواها ؛ وتابع هو دراساته لكتاب الله وأحاديث رسوله ، فاغترف من تلك المناهل ما قوى روحه المعنوية وما أمدته بالشجاعة العظيمة التي لا تتولد إلا من الإيمان ، وبذلك أصبح مؤهلاً لأن يحتل مكان الزعامة .

وقد ساء ما وجدته من تلك الأحوال التي تثير الأسى ، وتلك المظالم التي كانت ترتكب في عهد « إسماعيل » ثم في عهد ابنه « توفيق » — الذي اعتلى العرش بعد أن تمكن الأوربيون من عزل أبيه في عام ١٨٧٩ ، ولم يكن الابن خيراً من الأب — وأحزنه بصفة خاصة ما شاهده من تعصب<sup>(١)</sup> الأتراك والشركس ، واحتكارهم لمراكز السيادة والمرتبات العالية في الجيش والوظائف الكبيرة ، بينما ينظر إلى المصري نظرة الاحتقار ويهان في بلده — وكان عرابي نفسه قد صار مثلاً من أمثلة هذا الذل والاضطهاد فقد بقي تسعة عشر عاماً لم يرق فيها إلى رتبة أرقى من رتبته التي كان عليها حين تولى إسماعيل حكم البلاد — فحز كل ذلك الظلم في نفسه . ثم وجد الأجانب قد أصبحوا الآمرين الناهين في البلاد بالفعل ، وقد وضعوا أيديهم على مواردها وأشرفوا على إدارتها .

(١) نستأذن الأستاذ الكاتب الفاضل لنفت نظر القارئ الكريم إلى أننا نتكرر التعصب الجنسي والقومي من حيث هو في كل جنس وقوم ، وأنه كما أحزن « عرابي » رحمه الله تعصب الأتراك والعراكسة وغيرهم ، قد أحزننا فيما بعد تعصب بعض المصريين لمصريتهم تعصباً ضعف معه الشعور بالأخوة العامة بين المسلمين ، وبأن دار الإسلام دار لكل مسلم ، وأنه لأفضل لمربي على مجيئهم إلا بالتقوى .

وكانت البلاد قد سرت فيها روح وطنية قوية ، مستمدة من الروح الإسلامية الحية الخالصة التي عمل على نشرها المصلح الإسلامي الكبير : السيد « جمال الدين الأفغانى » الذى هاجر إلى مصر فى عام ١٨٧١ ، وبقى بها إلى عام ١٨٧٩ حين نفيه « توفيق » فى ظروف أثارت الشعور العام ، ولكن بعد أن ترك بها تلاميذه ومريديه الذين أشربوا روحه وفهموا دعوته ، فكان منهم « محمد عبده » وكان منهم « عرابى » كما كان منهم كثير من رجاله الذين أيدوه .

لقد عهد « توفيق » بالحكم بعد ولايته بقليل إلى « مصطفى رياض باشا » ، فكث رئيساً للوزارة عامين ، من سبتمبر ١٨٧٩ إلى سبتمبر ١٨٨١ ، وكان رياض على شاكلة توفيق : رجعياً وذا نزعة أتوقراطية ، فحكم البلاد حكماً استبدادياً وكان لا يراها أهلاً للتمتع بحكم نيابى ، وجعل وزير حرييته شركسياً من أكثر أبناء الشركس تعصباً لبني جنسه ، جامداً ضيق الأفق ، هو « عثمان رفقى باشا » . فجعل قيادة الجيش فى أيدي الشراكسة ، واضطهد الوطنيين ، ومهد لفصل بعض المصريين القلائل الذين كانوا قد وصلوا إلى بعض الرتب العالية ، ومنهم عبد العال حلمى وعلى فهمى اللذين كانا زميلى أحمد عرابى وعاوناه فى حمل لواء الثورة . وكان كل من رياض وتوفيق مستسلماً لحكم الأجانب ، يعمل لإرضائهم ، بل يسعى إلى التقرب منهم ، بل لم يكن يفكر فى أن يخالف لهم أمراً ؛ فكان البلاد كانت إذن محتلة بالفعل احتلالاً حقيقياً ، وإن لم تكن الجيوش قد قدمت بعد إلى البلاد ، ولم تضرب الاسكندرية بالقنابل ! .

كانت « الثورة العرابية » إذن ثورة على الاستبداد ، والطغيان ، والاحتلال . ولقد أجمع رجال الجيش بعد ما شعروا بهذا الظلم ، على أنفسهم وعلى أمتهم ، على أن يتحدوا إرادات الجبابرة ، ويتقدموا بصراحة بمطالبهم إلى ولاية الأمر ، فكان أن قدموا عريضتهم إلى « رياض » فى شهر يناير ١٨٨١ ، مطالبين بالإصلاح . ولكن الحاكمين أخذتهم العزة بالإثم ، فقرروا قمع الحركة فى بدئها بالشدة ، واعتقل عرابى وزملائه بسجن قصر النيل تمهيداً لمحاكمتهم والتخلص منهم . ولكن فرقاً من الجيش الباسل حضرت فاقطعت السجن وحررت الأبطال ، فقُذِف الرعب فى قلوب الطغاة وسُقط فى أيديهم ، وأذعنوا صاغرين : فعزلوا « رفقى » نفسه ، وعين بدلاً منه « محمود سامى البارودى » ؛ ولكنهم عادوا بعد قليل إلى مكرهم وعينوا بدلاً منه « داود يكن باشا » وكان مثال الجهل والحماسة . وشعر قادة الجيش بأن حياتهم فى خطر فحينئذ قرروا هذا الحشد التاريخى فى ساحة عابدين فى يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ وطالب



أحمد عرابي الحديوي نوفيق رأساً بطلبات الجيش والأمة : وفي مقدمتها إسقاط وزارة رياض ، وتشكيل مجلس النواب ، وإبلاغ عدد الجيش إلى العدد المعين في القوانين — ثم صاح في وجهه تلك الصيحة التي دوت وجلجلت في أجواء الزمان ، وسمعتها الأجيال وهي : « نحن لسنا عبيداً ولا نورث بعد اليوم » !!

إلى هذا الحد نجحت الثورة : فقد أسقطت الوزارة ، وألف « شريف باشا » ، الذي طالب به الرأي العام ، الوزارة التالية ، وأجاب مطالب الجيش وشرع في وضع دستور للبلاد . وتم وضع هذا الدستور وافتتح مجلس النواب بالفعل في ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ . ولكن الدول الأوروبية الطامعة — يحالفها ويؤيدها « توفيق » حفيد محمد علي وحواشيه — ما كانت لترضى أن يقام في البلاد حكم صالح ، أو أن تظهر إرادة الشعب ، أو يسمح لمصر بالحياة والتقدم ؛ فأسرعوا إلى تدبير المؤامرات وتدخلت الدولتان إنجلترا وفرنسا ، فأرسلتا مذكرة في ٧ يناير من عام ١٨٨٢ تعلنان فيها تأييدهما للحديوي وحماية عرشه ، وتعلنان غضبهما على قيام الحكم النيابي ، واعتراضهما على حق مجلس النواب في النظر في الميزانية . واضطر شريف إلى الاستقالة ، فألف البارودي وزارته التي لبثت من فبراير إلى مايو ١٨٨٢ وعين أحمد عرابي ناظراً للحرية . وأثبت مجلس النواب كفاءته ونجح في إصدار عدة تشريعات هامة لصالح البلاد . وكان يمكن أن تصبح مصر منذئذ دولة ديمقراطية راقية ، وأن تسعى إلى غايات التقدم بخطى واسعة ، وتصير من أقوى الدول في الشرق الأوسط ، وتحتل مكانها بين دول العالم .

ولكن هل كان يرضى الاستعمار بذلك وهو مؤيد من الخونة داخل البلاد ، ومن الخارج بالأساطيل التي حشدتها في مياه العاصمة الثانية ؟ وهل كان « عرابي » ليستطيع أن يقاوم كل هذه القوى الاستعمارية والرجعية التي كانت متآلفة على وطنه ، أو يوقف هذا السيل الجارف الذي مهد له الطريق من قبل ؟

إن هذه الجناية التي ارتكبتها « إنجلترا » بضربها « الاسكندرية » بقنابل أسطولها في يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ ، على إثر عراك دبره وكلاؤها بسبب خلاف بين « مالطي » من رعاياها وسائق عربية ، وتدميرها للمدينة وإحراقها ، سعياً إلى العدوان على استقلال البلاد واحتلالها — جريمة يندر أن يكون لها نظير في التاريخ ، في وحشيتها وفظاعتها ، وإنها لتدل على أن إنجلترا عدوة « الديمقراطية » خارج بلادها ، وعدوة الشرق والإسلام ، وهي جريمة لن تنساها أجيال المصريين ، وإن الأبدان لنقشهم من هول ذكراها ، ويندى لها ما يسمونه الحضارة الغربية الحديثة و « القانون الدولي » خجلاً !

# سُعر الفائدة والربا

للأستاذ محمود أبو السعد

مستشار بنك الدولة بالباكستان

٢

( ب ) التعريف الفقهي للربا :

اختلف الفقهاء أيما اختلاف في تعريف الربا ، وهم وإن اتفقوا على تحريمه إلا أنهم ذهبوا في وصفه مذاهب شتى . والفاحص المدقق فيما كتب علماء الفقه لن يجد عندهم ما يوافق حالتنا الاقتصادية البراهنة ، ولا ما يرشدنا إلى أى القروض ربوية وأيها غير ربوى ؛ وعلة ذلك اختلاف الأوضاع الاقتصادية اختلافاً شاسعاً ، وعدم تطور الفقه الإسلامى مع تقدم الزمن والحضارة ، وقلة المجتهدين . من أجل هذا فسنتعرض الآراء الفقهية بإيجاز ، ثم نخلص إلى رأينا مستلهمين الله في غايتنا ونوفيقنا .

يقسم الفقهاء الربا إلى قسمين :

( أ ) ربا النسيئة .

( ب ) ربا الفضل .

ولهذا التقسيم مدلولان : تاريخي وفقهي ، فأما التاريخي فهو ما يروى من أن العرب زمن الجاهلية كانوا يتبعون طريقة جائرة في الإقراض ؛ إذ يطلب الدائن من مدينه ضعف الدين إن طلب المدين إيماله لعام قابل ، فيتضاعف الدين أضعافاً مضاعفة على مر السنين ؛ حتى ليعجز المدين في الغالب عن السداد ؛ وهذا على حد تفسير البعض مدلول قوله تعالى : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

أما التفسير الفقهي عند البعض فهو الإقراض للنسيئة أو لأجل طال أو قصر ؛ على أن يرد المدين الدين زائداً فضلة هي الربا مقابل النسيء . على أن فريقاً آخر من الفقهاء يرى تحديد ربا النسيئة بما كان متبعاً في الجاهلية ، وهو بهذا إقراض دين يتضاعف بتضاعف الأجل ، ويشترط فيه عندهم أن يكون شرط القرض أن يرد الدين عين المقرض أو وصفه وقيمته ، أو وصفه ومقداره كيلا كان أم وزناً « ابن قدامة وابن تيمية » .

أما ربا الفضل فهو عند الأغلب من الفقهاء كل ربا غير النسيئة ، وبهذا ينقسم مدلوله إلى قسمين حسب تعريف ربا النسيئة فهو إما كل ربا خلاف ربا الجاهلية الذي يسمونه بقول مشهور « أمهلني أضعف لك » وإما كل ربا حال زاد على الدين الأصلي ولو اختلف وصف الشيء المقترض ؛ فلو اقترض أحدهم قدحاً تمرّاً طيباً على أن يردّه قدحين تمرّاً سيئاً لكان هذا ربا فضل ، ولو اقترض أحدهم مبلغاً لأجل قصير على أن يردّه زائداً قدرّاً طفيفاً لكان أيضاً ربا فضل ، ولو كان المقترض في أمور غير الست سلع المذكورة في الحديث المشهور « وهى التمر والبر والشعير والملح والمعدنان : الذهب والفضة » لكانت الزيادة عند الإبراء ربا فضل .

ولا شك أن لهذا التقسيم أهمية كبرى إذ به تفسر آيات الربا ، ويعرف الحلال من الحرام ، ويرى فريق أن كل ربا حرام مهما كان شكله ونوعه ، ويرى فريق آخر أن ربا الفضل ليس حراماً وإن كان مكروهاً نظراً لكونه يؤدي إلى النسيئة وهى حرام ، ومن الخير تركه سداً للذريعة « ابن القيم في إعلام الموقعين ص ٢٠٣ » .

وتسهيلاً للبحث لن نعتبر ربا النسيئة ذلك الضرب الخاص من سعر الفائدة الذى كان سائداً فى الجاهلية والذى اتخذ شكل « أمهلني أضعف لك » ولكن كل زيادة لأجل على أصل الدين سواء أكان بفائدة بسيطة أو مركبة يتقاضاها الدائن نظير قرضه . أما ربا الفضل فهو الزيادة التى ينالها شخص نظير تبادل حال لسلعتين من نوع واحد « ابن قدامه فى المغنى » وعلى هذا فظاهر آيات القرآن الكريم أن كل ربا لأجل حرام ، وأن ربا الفضل حيث يتبادل شخص وآخر سلعتين يداً بيد لا يمكن أن يكون إلا إذا كان هناك فارق بين النوعين المتبادلين . وعليه فالأغلب ألا يكون حراماً إذا ما الفائدة من أن أعطيك تمرّاً جيداً نظير قدر مساوٍ له من تمر ردىء ؛ بل إن مثل هذه المبادلة لن تتم إلا إذا كان هناك فضل وزيادة فى التمر الردىء نظير التمر الجيد . وقد أيد هذا رأى ابن حزم وأكده وذهب إلى أكثر مما ذهب إليه ابن القيم الذى جعله مكروهاً لأنه قد يؤدي إلى ربا النسيئة فأباحه لأنه منطلق الطبيعة والواقع « المحلى ج ٨ ص ٤٨٨ »

### ٣ — بين الربا وسعر الفائدة :

لعل الفارق قد وضع بين الصورة القديمة للقروض التى تعقد بربا وبين التفكير الاقتصادى الحديث حيث تعقد القروض بسعر فائدة . وقبل أن نحكم هل كل فائدة على قرض إنما هى فائدة ربوية يستحسن أن نعلم حكمة تحريم الربا من الناحية الفقهية وأن نقارن هذه الحكمة بالأوضاع الاقتصادية الحديثة .

## أهم المبررات لتحريم الربا :

أولاً : من المقرر ألا ينال المسلم أجراً دون عمل ، وأن هذه القاعدة مشتقة من روح التشريع وآيات القرآن الكريم ، وقد ذكر ذلك في غير موضع واحد يقول تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » ويقول : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » وغير هذا كثير .

والمقصود من هذا أن المقرض لم يبذل عملاً يستحق من أجله جزاء على قرضه ، ونظراً لأن المجتمع الإسلامي يفترض التكافل بين أفراد ، وحيث أن القرض رأس مال بيد المقرض لا يستطيع هو استثماره مباشرة بينما يحتاج إليه غيره في انتفاع استهلاكي أو إنتاجي فلا مبرر لأن يتقاضى على إقرضه أجراً . ولئن قيل إن هذا الجزاء إنما هو مقابل تكوين رأس المال ، قلنا إن ذلك صحيح ولكن الاعتراض ناشئ عن أن المقرض المنتفع برأس المال إنما يلتزم برده ويحتمل مخاطرة الانتفاع به ، بينما لا يبذل المقرض جهداً حين الإقراض ، ثم إن مجرد تجميع رأس المال يعني حيازة قوة شرائية بيد المقرض ، وليس من واجب المقرض أن يلتزم بمكافأة المقرض .

وقد يعترض أيضاً على هذه الحكمة أنها غير مطردة التطبيق في الشريعة السمحاء فهناك موارد انتفاع يستفيد منها الفرد دون عمل كالإرث وحصّة الشريك الحامل وإيجار الأرض . وردنا على هذا أن الإرث ليس حقاً مكتسباً للوارث ، بل هو حق للمورث يتنازل عنه بمحض رغبته ؛ وإنما شرع لحفظ كيان الأسرة التي هي أساس المجتمع ، وكثيراً ما يكون من الصعب أن نجزم أن الوارث إنما ورث دون عمل إيجابى منه في تكوين الإرث إذ كثيراً ما يسهم الابن في تكوين ثروة أبيه . ومن العبث أن يقال إن الوارث إنما اكتسب منفعة قبل مورثه ، بل إنه ملتزم بأكثر من هذا ألا وهو الإنفاق على من تجب عليه نفقته ، وهل هناك التزام أكثر مما أشار إليه المصطفى عليه السلام بقوله : « أنت ومالك لأبيك » .

أما حصّة الشريك الحامل فلا يصح أن ينسحب عليها هذا الوصف لأن الشريك الحامل يخاطر بخصته فإن أخذ أجراً فإنما هو كفاء الغرم الذي قد يناله حين الخسارة ولا نظن أن هذه الحالة تحتاج إلى مزيد من التوضيح .

أما إيجار الأرض يجعل ثابت نظير استغلالها فذلك ما قد حرمه الإسلام بنص الحديث ، ولئن جرى العرف على إقرار الكراء فذلك من باب التهاون المريب في أحكام الشريعة ؛ وما حرم الكراء إلا لأنه إقراض للأرض بفائدة ثابتة ، فهذا للثل تأييد للفكرة الإسلامية التي من أجلها حرم الربا وهي أن الفرد يجب ألا يأخذ أجراً دون عمل مباشر منه

ثانياً : أن النقود وسيلة لمبادلة السلع والخدمات ولا قيمة لها في ذاتها ، بل هي لا تطلب لذاتها أيضاً إنما تطلب لما يشتري بها . ويظهر أن أول من قال بهذه الفكرة فلاسفة الإغريق ، وقد ذكر هذه الفكرة الإمام الغزالي في الإحياء في معرض الحديث عن حكمة تحريم الربا ، ونقلها بعض العلماء المحدثين كالشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا . ولا شك أن هذه الفكرة صواب فأهم صفات النقدهى كونه وسيلة لمبادلة السلع . قد يقال إن للنقود صفات أخرى فهي مخزن للقيمة Store of Value ولا بد من ثمن للاختزان ، وهذه فكرة لا تثبت أمام النقد لأن اختزان القيمة قائم سواء بيد المقرض أو المقرض ، والمقرض لا يعطى قيمة هو في حاجة إليها وقت الإقراض إنما يعطى مالا يحتاج إليه ( وإن احتاج إلى ما قد يبقى ) وعلى هذا فحكمة التحريم المستندة إلى أن النقد في ذاته لا يفعل ناتجاً تظل قائمة وصحيحة .

ثالثاً : كل غنم بغرم والإقراض بفائدة لا يحوى كثيراً من عنصر المخاطرة ، بل هو مبنى على غنم دون غرم . وقد يعترض على هذا بأن هناك خطراً بالغاً حين الإقراض وأنه لو نظرنا إلى الموضوع من ناحية التاريخ لوجدنا أن كثيرين من المقرضين قد تعرضوا لأخطار تفوق تلك التي تعرض لها المكافلون Entrepreneurs كما يؤيد ذلك أن سعر الفائدة يتغير بتغير المركز المعنوى والمادى للمقرض فالغنى يحصل على قروض بسعر فائدة أقل مما يحصل عليها به الفقير . هذا الاعتراض مع وجاهته لا ينهض لدحض حكمة التحريم لأمرين :

أولهما : أن المقرض حين إقراضه يفترض سوء نية المقرض ويتخذ عادة لنفسه كل الضمانات الممكنة فإن لم تسكفه الضمانات فهو في الغالب لا يقرض . دليل ذلك أن المعدم لا يكاد يجد من يقرضه مهما علا سعر الفائدة .

والثانى : أن المقرض لا يناله من الغرم بمقدار ما ينال المقرض . وبلغ آخر لا يفكر المقرض أن سيناله غرم مقابل ما قد يكسبه من غنم . على أننا نستبعد أن يكون المقرض معرضاً لخطر أكبر من ذلك الذى يتعرض له المكافل . على أن العبرة في هذه الحكمة هى وجوب دخول صاحب رأس المال معترك الحياة الإنتاجية موطئاً نفسه على الكسب والخسارة ؛ فيشارك الغير في الخير والضرر والغنم والغرم . وقد ذكرنا من قبل أن الاسلام دين تكافل ، ونذكر الآن أن جميع أحكامه وتشريعاته تلاحظ الناحية الاجتماعية العامة ، وأن أحكامه الاقتصادية ينظر إليها من ناحية المجموع كما ينظر إليها من ناحية الفرد سواء بسواء ؛ فإن تعارضت المصلحتان رجحت كفة المجموع بالاتزاع .



رابعا : ما يحيق بالمجتمع من أضرار ظاهرة وما تتركه الفائدة من ضغن وحقد في نفس المقرض مما يحرمه الدين ، خصوصاً إذا كان القرض لغرض استهلاكى . ونحسب أن هذا المعنى واضح ظاهر للخاص والعام . على أن هذه الحكمة تبدو غير واضحة في حالات القروض الإنتاجية خصوصاً في العصر الراهن حيث يكون المقرض شخصاً معنوياً قوياً غنياً كالشركات المساهمة والهيئات والحكومات ، كما أن هذا الرأى يغفل ماتقدمه القروض بفائدة للتقدم الاقتصادى والإنتاج الكبير ، كما يغفل أن المقرض ليس دائماً الأغنى أو الأوفر مالا . محجة الصواب هو أن الفائدة ضارة بوصفها السابق من ناحيتها المادية والمعنوية ؛ فمن الناحية المادية سبق أن بينا أن قادة الفكر الاقتصادى يسلّمون بضرر الفائدة الجسيم على كيان الأمة الاقتصادى ، ومن الناحية المعنوية يمكن أن نقول إن أكثر المقرضين أغنياء وأن استثمار الفقير ومتوسط الحال في قروض حكومية أو في سندات أهلية أمر ليس بذى بال ، وحق لو سلمنا أنه ذو أهمية فإنه يغرى أصحاب تلك الدخول بعيشة الدعة . ولا وجه لمن يزعم أن ذلك يؤمن لهم عيشة هادئة عند بلوغهم سن التقاعد إذ هذا واجب الدولة الإسلامية وحق المسلم على حكومته . ولئن سلمنا جدلاً بأن هناك فائدة من مثل هذا الاستثمار الفردى في حالات خاصة فإن القرض بفائدة من ناحيته العامة يخلف أضراراً أكثر مما ينفعه ؛ فـكان تحريره أحسن للضرر وأبعد للشر .

٤ — هل كل فائدة ربا ؟

الجواب عندنا بالإيجاب قطعاً فكل قرض بفائدة إنتاجياً كان أم استهلاكياً لأجل مسمى إنما هو قرض ربا محرم بنص صريح لا شبهة فيه ، ومخالفة سافرة لقوله تعالى : « فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » أما إن أخذ القرض شكل مبادلة حالة على أن يربى أحد المتبادلين (ربا الفضل) فليس هذا عندنا بمحرم ، ولسنا نحسب أن مثل هذه المبدلات منتشرة في الوقت الراهن نظراً لانتشار استعمال النقود وقلة المقايضات . وقبل أن ننتقل إلى كيفية القضاء على الفائدة الربوية يحسن أن نبين أن الإسلام يرتب حقوقاً للفرد قبل الحكومة تجعله في غنى عن كثير مما يقتض من أجله لسد حاجاته الاستهلاكية . أما القروض الإنتاجية فالإسلام لا يقر إلا صورة واحدة منها هي صورة المشاركة أو المساهمة ، ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن واجبنا الأول هو تكليف حياتنا الاقتصادية حسب مقتضيات تعاليمنا الإسلامية وليس العكس ؛ فلا عبرة إذن لمن يقول إن الأوضاع الاقتصادية الراهنة تقتضى أن تستثمر الأموال بفائدة لدى

المصارف وشركات التأمين وفي سندات الحكومة والهيئات الجماعية والشركات التجارية والصناعية ، وهذه بدورها إما أن تقرضها أو تستثمرها في مشروعات إنتاجية بفائدة تزيد على تلك التي يتقاضاها المقرض الأول . لا عبرة بهذا الزعم لأنه خطأ اعترف به الغريسون الذين نقلنا عنهم حضارتهم المادية ، وحرمته شريعتنا السمحاء ؛ بل إن كثيراً من دول الغرب بدأت تغير من هذه الآراء ، فما بالنا نتمسك بما يندون ؟

لا شبهة عندنا في أن كل فائدة بجميع صورها المتعارف عليها في الاقتصاد الحديث ربا محرم ، وواجبنا أن نعمل ما وسعنا الجهد لنوجد اقتصاداً خالياً من هذا الحرام ؛ وليس هذا بمستحيل إن صحت العزائم وصفت القلوب .

« للبحث بقية »



### وصية شهيد

... وفرغ الناس لقتلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟  
 فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد .  
 فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق .  
 ( قال ) فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الأحياء  
 أنت أم فى الأموات . ؟  
 قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له :  
 إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته . وأبلغ  
 قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله  
 إن خُلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف .  
 ( قال ) ثم لم أبرح حتى مات .  
 « سيرة ابن هشام »

# باب الكذب : نقد وتعريف

« نفتح في هذا العدد » باب الكذب « ، ليكون صلة  
بين أسرة المسلمون « وكل جديد نافع في مكتبتنا الإسلامية ،  
ويسرنا أن يشرف على هذا الباب الأستاذ الفاضل الدكتور  
محمد يوسف موسى .  
ونحن نرجو حضرات المؤلفين الراغبين في التعريف  
بكتبهم أن يبعثوا إلينا نسختين من كل كتاب » .  
التحرير

١ - ماذا خسر العالم بأخطا المسلمين

للأستاذ أبي الحسن علي الندوي

نشر جماعة الأزهر للنشر والتأليف سنة ١٩٥١ ٢٥٥ ص ك

فتنت بهذا الكتاب حين قرأته في أقل من يوم في طبعته الأولى<sup>(١)</sup> ، وكتبت على  
نسختي أن قراءته فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام ، وحين عرفت مؤلفه  
الفاضل بعد ذلك معرفة شخصية عرفت سر فتنتي بكتابته هذا ؛ عرفت أن مرد ذلك —  
فوق ما في الكتاب من عمرات التوفر على البحث ونشدان الحق — إلى معرفة الكاتب  
بالإسلام وما فيه من قوى معرفة حقة ، وأخذ نفسه به في حياته العملية ، والإخلاص  
في الدعوة إليه بكل وسيلة وطريق .

لقد أحسن صديقنا الفاضل ما نحسه جميعاً في حسرة وألم من رضى الدول الإسلامية  
بالسير وراء العالم الغربي ؛ تميل إلى ما يعيل ، وتقيس الأمور بموازينه ، وكان من هذا  
أن فقدنا الثقة بنفسنا وجنسنا وديننا وقيمنا العالية ؛ وفي ذلك تتركز علة تأخرنا ، ولها  
يجب أن نطب ، وفي هذا السبيل يجب أن تتضافر الجهود .

« لقد اختتم الله بالإسلام رسالاته للعالم ؛ فليس لنا أن ننتظر اتصالاً جديداً من  
السماء بالأرض يطهرها مما كاد يعمها من شرك وضلال وفساد ، ولا نبياً آخر بعد رسول

(١) طبع مرتين في عامين متوالين ، وطبع في كل مرة منه بضعة آلاف نسخة .

الإسلام يخرج العالم برسالة جديدة من الظلمات إلى النور . ولا قرآنا جديداً يهدى الإنسانية الحائرة إلى سبيل الرشd والسعادة . ولكن الله الرحمن الرحيم ، ترك فينا بعد هذا أو بسبب هذا ، كتاباً إن يفضل من اتبعه ، وشرعية إن يشقى من عمل بها . وكل ما يجب أن نعمل له ، لنخرج والعالم كله من هذه الجاهلية التي احتوتنا من جميع الأطراف ، هو إعادة الثقة بديننا حتى يكون أساس حياتنا في كل مقوماتها . وليس لنا أن نطلب من أحد أن يؤمن بهذا الدين قبل أن نؤمن نحن أولاً به ، وإن يكون هذا الإيمان إلا بالقدوة الصالحة تقدمها للناس جميعاً<sup>(١)</sup> .

وربما لا نكون مبالغين حين نقرر أن هذا الكتاب هو ثلثي كتابين أو ثلث ثلاثة حرية بالقراءة الجادة الواعية ، من الكتب التي ظهرت في هذه السنوات عن الإسلام والدعوة للرجوع إليه . إنه كتابة قلب ينبض بحب العروبة والإسلام ، وعالم نفسى ومجرب عملى خبير ؛ لذلك تراه لا يعمل على تهيشة العقل والقلب فقط لما يريد أن يقول ، ولا يقتصر في هذا السبيل على القوى النفسية وحدها وعلى الإشادة بالمجد الغابر القديم ؛ بل تراه — بعد الإعداد النفسى — يلجف فى قوة إلى الأخذ بأسباب القوة الصناعية والحربية ، وإلى إعادة التنظيم العلمى للأمة الإسلامية ، وإلى أن يكون لنا ما يجب من استقلال تجارى ومالى .

إنه إذاً ، ليس كتاب واعظ مسلم يبشر بدينه ، بل ذوب قلب وعقل مؤرخ منصف ، وتجارب عالم من علماء النفس ؛ فهو يخاطب القلب والعقل معا ، بل ربما كان يخاطب هذا قبل ذاك ، وهو لذلك كله حرى بالإفادة منه من شباب المسلمين ورجالاتهم ، بل حرى أن يفهم غير المسلمين بأن من الخير للعالم كله أن تعود القيادة العالمية للإسلام من جديد .

جزى الله صديقنا المؤلف ، القريب البعيد ، عن دينه والعروبة خير الجزاء .

\*\*\*

## ٢ - العواصم من القواصم

لأبي بكر بن العربي تحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب

نشر لجنة الشباب المسلم عام ١٣٧١ هـ ٢٩٥ ص م

ما أحوج أمة العرب والإسلام في هذه الأيام ، أيام يقظتها بعد نوم طال عليه الأمد ، إلى الرجوع لماضيها المجيد : تستلهمه المثل العليا ، وتعزّبه وتقوى في نضالها ! وما أحوجها كذلك إلى أن تكون مجموعة السكامة والقوى ، فلا يلتبس بعض أبنائها من هذا الماضي سبباً للفرقة والجدل ! بل عليها أن تكون في حاضرها موحدة الجهود ، ثابتة الخطى ، لتسير إلى مستقبل ما جد تأخذ فيه مكانها الملحوظ بين الأمم .

وهذا جزء من كتاب ألفه رجل من رجالات الإسلام ، وعالم من كبار العلماء ، عاش في القرنين الخامس والسادس الهجري ، وأراد به أن يرجع الأمر إلى نصابه فيما يختص بمواقف الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فقد مر الإسلام في هذه الفترة بمواقف عصيبة زلزلته زلزالاً شديداً ، ولم يعصم الله المسلمين منها إلا لما أَرَادَهُ من خير للعالم ، ببقاء الإسلام راسخ الأصول قوى البنيان .

وجماع هذه القواصم هي وفاة الرسول واختلاف المسلمين فيها لهول الموقف ، ثم اختلافهم من بعد شيعاً وأحزاباً ، وكانت العاصمة من ذلك ولاية أبي بكر بموافقة الصحابة جميعاً . ثم ما أخذه الناس على سيدنا عثمان حق قتلوه فانكسر بقتله السد ، ووقعت الحرب بين الإمام على ومخالفيه لأسباب كثيرة منها إيواؤه قتلة ذى النورين . وهنا نجد المؤلف يدفع بحق ما حاول به أعداء الإسلام تشويه مواقف كثير من الصحابة واندفاعهم وراء الهوى والشهوات ؛ وذلك بالرد على كل ما نسب زوراً إلى عثمان ( ص ٦١ - ١٤٧ ) ، وتعليقه وجود قتلته في جيش على تعليلاً صحيحاً اندفعت به فتنة أخرى ( ص ١٦٤ - ١٦٧ ) بدليل أن معاوية نفسه حين بويع بالخلافة لم يمكنه أن يثار منهم ( ص ١٦٨ ) .

وعرض المؤلف بعد أن جلا ذلك كله إلى مسألة التحكيم بين على ومعاوية ، ودفع عن عمرو بن العاص تهمة الخديعة ، وعن أبي موسى الأشعري تهمة الغفلة ( ص ١٧٢ - ١٨١ ) . وهنا يتعرض المؤلف بإشارة محكمة إلى وجوب إعادة فحص التاريخ الإسلامى ، وبيان ما اندس على الحقائق فيه ( ص ١٧٧ وما بعدها ) .



وأخيراً تكلم ابن العربي عما تراه الشيعة من النص على ولاية عليٍّ أمر المسلمين بعد الرسول ، فبين عدم صحة ذلك ، وساق أحاديث صحيحة ناطقة بفضل أبي بكر وصحبه جميعاً رضوان الله عليهم ، ومنها نعرف أن فضيلتهم ومنزلتهم هي على حسب ما كان من ولايتهم الخلافة بعضهم إثر بعض ( ص ١٨١ وما بعدها ) .

وختم المؤلف تحقيقه في هذا القسم المنشور ، بالحديث عنبيعة الحسن لمعاوية بالخلافة ، وأن ذلك كان خيراً للمسلمين إذ اجتمعت بها كلمتهم ( ص ١٩٧ وما بعدها ) ثم دافع عن جعل معاوية ولاية العهد لابنه يزيد من بعده ( ص ٢١٤ وما بعدها ) ، مبيناً أن الرسول نفسه عرف فضل هذه الأسرة فكان أول من عقد الولاية لبعض أبنائها ، ثم استكتب معاوية نفسه أميناً على وحي الله تعالى ( ص ٢٣٤ ) .

هذا هو عمل المؤلف في تحقيقه القيم ، وإن كنا نأخذ عليه رقة دفاعه عن أخذ معاوية العهد من بعده لابنه يزيد وفي الصحابة من هو أفضل منه للخلافة .

وكان من حسن حظ هذا القسم من كتاب ابن العربي ، أن يقيض الله له صديقنا الفاضل الأستاذ محب الدين الخطيب ، فيقوم على تحقيقه والتعليق عليه ؛ فهو رجل يؤمن بالله والإسلام ورجالاته حق الإيمان ، وقد جمع الله له أدوات البحث الصحيح والتحقيق التاريخي ؛ وحسبنا دليلاً على هذا مراجعة تحقيقاته وتعليقه التي زادت على حجم الكتاب نفسه ، ثم الاطلاع على قائمة المراجع الهامة التي رجع إليها في هذه التعليقات . وقد بدأ عمله بترجمة المؤلف ترجمة دقيقة على وجازتها ، وصدر في آرائه عن أنه لا عصمة لأحد بعد الرسول ، فعلينا ألا نكفر الكثير من الخير من أجل هفوة أو عثرة نجدها لأحد رجالات صدر الإسلام ( ص ٥ ) ، فالصحابة كانوا أسمى أخلاقاً ، وأصدق إخلاصاً لله ، وترفعوا عن خسائس الدنيا ، من أن يختلفوا للدنيا ( ص ٧ ) . ولكن هي الأبدى الحبيشة ، التي كانت في عصرهم ، والتي جاءت فيما بعد ، هي التي عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه ، وصورت الوقائع بغير صورتها .

وقد توج الأستاذ الخطيب مجهوده المتعب القيم ، بعمل فهارس دقيقة منظمة للكتاب وتعليقاته : للأعلام التاريخية ، والأعلام الجغرافية ، وذلك بعد فهرس تحليلي لموضوعات الكتاب نفسه .

ونحن نحمد للأستاذ محب الدين الخطيب هذا العمل النافع كل النفع ، وللجنة الشباب المسلم نشر هذا القسم من كتاب العواصم ، راجين التوفيق لنشر الكتاب كاملاً في المستقبل القريب .

# الطب عند القدماء

للاُميرالاي الدكتور أحمد الناقة

مدير المستشفى العسكري المصرى

( ٢ )

« سيجد الأخ القارىء فى هذا البحث القيم طرائف رائعة من آثار علماء الإسلام فى عالم الطب . . . وهى آثار تشهد للمسلمين بالسبق والأصالة بعد أن أطلق الإسلام عقولهم من عقابها فانطلقوا بالفهم الواسع لقول الله : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » .  
التحرير

أشاد «هومبروس» بمهارة أطباء مصر ، ونوه «هيرودوت» بكفاءتهم فى علاج شتى الأمراض التى اختصوا بها ، وعرف الإغريق «المحوتب» رب الحكمة فى مصر القديمة ، ونقلوا عن مصر كثيرا من أصول الطب وقواعد الصحة والعقاقير وآلات الجراحة . وفى أثينا ظهر «أبقراط» رب الحكمة اليونانية ورائد البحث الحر القائم على الملاحظة والتجربة والاستنتاج .

ثم عاد الإغريق فردوا إلى مصر ما أخذوه وما زادوه فى مدرسة الإسكندرية حيث تقدم التشريح وعلم وظائف الأعضاء ؛ ولعل التجنيط وتشريح الأضاحى فى مصر منذ القدم مما أعان على ذلك التقدم .

ولما انتقل مركز الثقافة إلى روما ظهر «جالن» الطبيب اليونانى ودون كل ما عرف فى الطب إلى عهده وظهر التشريع الصحى وتنظيم المهنة الطبية وكانت روما سيدة التشريع والتنظيم وإن لم تكن سيدة الأصالة والتجديد .

ولما جاءت المسيحية قالت طائفة من أهلها — النسطوريون — أن مريم أم المسيح وليست أم الرب ، فاضطهدتهم الكنيسة والدولة ؛ ففروا إلى الشام وعكفوا على دراسة الطب زمنا أصابوا فيه بعض النجاح ، ثم تبعهم اضطهاد الكنيسة والدولة ففروا ثانية إلى فارس فأكرمت مشواهم واستعانت بهم فى المستشفى والمدرسة الطبية «بجنديشابور» . وبرغم الحروب وأعباء الحكم فقد كان كسرى يفرغ أحيانا للنظر فى علوم الطب ، وقد رأى أن يبعث كبير أطبائه «برزويه» إلى الهند ليحتال بما شاء من جهد أو مال لجلب ذخائر الطب ، ونادر الدواء ؛ فتحقق له ما أراد .

وكان طب الهند زاخراً بالحكم مثل : « الطبيب المريض أب وللسليم صديق وللناس حارس الصحة » ، « طالب الطب في بطون الكتب بغير خبرة ولا مران هو كالحمار يحمل عبء الدواء ويجهل قيمته وفائدته » ، « الطبيب والمريض والدواء والممرض هم أركان الطب الأربعة » ، وقد عرف أطباء الهند مرض السكر منذ آلاف السنين لأنهم استخدموا الحواس الخمس في فحص المرض فذاقوا البول .

وقد أنشأ « أزوكا » الملك البوذي مستشفيات للإنسان والحيوان وحرّم على الأطباء علاج الذين قست قلوبهم من المجرمين وصيادي الطير والبهيم ، ولما دالت دولة البوذية الرحيمة وظهر البراهمة ادعوا لأنفسهم السيادة والعلو على الناس كافة ، والحكمة وفصل الخطأ ، والعصمة من الخطأ ؛ وفي ظلهم ذوى العلم وتأخر الطب .

وفي القرن السادس ضمت « جنديشابور » نطس الأطباء من اليونان والروم والكلدان والسريان والشام ومصر والهند ، وترجمت عبون الكتب التي حوت فلسفة أفلاطون وأرسطو وأبقراط ، وصارت فارس قبلة الطلاب من أقصى الأرض .

وفي القرن التالي وعلى حين غفلة هبت من جانب الصحراء ريح عاتية عصفت بملك الفرس والروم وانجملت عن [خبر جديد] ولم يلبث أن سطعت شمس الإسلام نوراً وهاجأ هدى الناس إلى سبيل الرشاد ، ونارا حامية طهرت الأرض من الفساد . ولم يكن عجباً أن يصبح البدو أمة ، والمؤمنون أئمة ، وأن يبسط الإسلام ظله وسلطانه على قارات ثلاث في مدى قرن من الزمان ؛ ذلك لأن الإسلام فضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف ، وكفل للناس كافة الحرية والعدل والسلام .

وكان طب العرب في الجاهلية مزيجاً من العظانة والكهانة . وقد تخرج الحارث ابن كلدة في مدرسة « جنديشابور » وأدرك الإسلام ومن وصاياه : « من سره البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء » وقد أوصى أطباء العرب بعدم الشبع أو الاستحمام بعد الطعام أو حمل أعباء الديون والهجوم ، واستشاروا ركب القوافل فيما استعصى عليهم من الأمراض .

وقد أبطل الإسلام التداوى بالسحر والشعوذة فقضى على الكهان ولم يحدث في مكانهم طائفة تدجل على الناس باسم الدين ؛ فقد أمر النبي الحارث بن كلدة بعلاج سعد بن أبي وقاص من مرضه في حجة الوداع .

وفطن المسلمون إلى ما في « جنديشابور » من العلم والحكمة فأقبلوا عليها يتزودون ما وسعهم الجهد ، وحين كانت أوروبا غارقة في الجهالة تشتري من الأديرة لبن العذراء

للتداوى ، وحين كانت الكنيسة تحرم الطب لأن المرض عقاب إلهي لا ينبغي أن نصرفه  
عمن أساء ، كان العرب عاكفين على تراث الفكر البشري يتأملونه ويعحصونه ، وحين  
طردت أثينا وروما فلاسفتها واتهمتهم بالإلحاد ترك أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالان  
أرضهم وديارهم ، واتجهت بهم القوافل نحو الشرق الذي فتح لهم ذراعيه وقلبه وعقله  
مرحبا في « جنديشابور » وبغداد والقاهرة ، وحين كان أرسطو مجهولا في باريس  
مغمورا في أكسفورد كان مشهورا مقدورا في عواصم الإسلام .

وعن الهند أخذ العرب أرقام الحساب فاهتدوا إلى علم الجبر وزادوا في علم الفلك  
ورصدوا النكواب وسموها بأسمائها العربية ، وأنشأوا أول الصيدليات ، وبرعوا في  
الكيمياء فعرفوا حوامض الكبريت والأزوت والراسب الأحمر وماء الفضة والذهب  
والبوتاس وزيت الزاج واستحدثوا كثيرا من العقاقير : كافور سنا . جوز مقي .  
تمر هندي . مسك . قرنفل . وعرفوا دواء النقرس وأضافوا : شراب قلوي كحول  
وسواها ؛ فنقلها عنهم العرب كما هي حتى اسمها العربي ( الكحول Alcohol القلوي  
Alkali شراب Syrap .

وفي القرن التاسع — عصر النهضة العربية — كان ابن ماسويه رأس أطباء بغداد  
يشرح الفردة لا الجثث الآدمية ، وكان أبوه صيدلي مستشفي « جنديشابور » وقد ذكر  
القحطى أن أطباء « جنديشابور » غير المسلمين كانوا يضمنون بعلمهم لإعلى من توسموا  
فيه الفطنة والرزانة من ذريتهم وأهل ملتهم .

ثم خلفه حنين بن إسحق على رئاسة الأطباء وكان يجيد اليونانية فترجم كثيرا من  
كتبها إلى العربية ، وكان كلما فرغ من ترجمة كتاب نال مثقاله ذهباً في حضرة المأمون ،  
وقد بلغ من شغف العرب بفلسفة اليونان أن الرشيد وهو يملئ شروط الصلح على  
إمبراطور « بيزنطة » جعل كتب اليونان أول الغنائم .

ولما ألف على الطري « فردوس الحكمة » وكان أول كتاب غير مترجم أقبل  
عليه الأطباء إقبالا شديدا ، وقد قال : « الطبيب الجاهل رسول الموت » وكان الرازي  
من تلاميذه ، ولم تسكتشف مؤلفاته إلا حديثا .

أما الرازي فقد نشأ يحب الموسيقى والغناء ويمارسها ، ولم يتعلم الطب إلا بعد الأربعين  
وكانت الأسفار من مقومات المران الطبي فرحل إلى الشام وإفريقيا ومصر والمغرب  
حتى قرطبة ، ولما عاد إلى بغداد فاز على مائة من أعلام الطب برئاسة الأطباء ، وقد بلغ من  
سعة خبرته وتواضعه أنه كان يشير إلى النتائج التي استخلصها من آلاف المرضى بقوله

« هذا ما أعرفه من خبري الخاصة » شأن الراسخين في العلم ، وقد علم تلاميذه آداب الطب التي تكفل للطبيب رفعة القدر بين الناس ؛ وقوله في ذلك يصلح لأن ياتي على طلبة الطب اليوم في أرقى الجامعات .

وقد ألم الرازي ما يزيد على مائتي كتاب أهمها « الحاوي » وهو موسوعة طبية ، و « كتاب المنصور » ، وهو أقل حجماً من الحاوي ولكنه أغزر مادة وأحسن تفصيلاً . وقد ظل مرجع الأطباء مئات السنين . ومن أروع وصاياه « عالج العلة في أولها بأدوية لانضعف » « إذا كان الطبيب ضليعاً والمريض مطيعاً فما أقل لبث العلة » « إذا أمكن العلاج بالحمية فلا دواعي للدواء ، وحين تغنى الأدوية البسيطة فلا داعي المركبة » « البقية في تشخيص الداء هدف بعيد المنال » ، « خبرة الطبيب الحاذق أجدى من علاج الكتب » . وكثير مما استحدثه الرازي في الطب يشهد له بالالمية وقوة الملاحظة : حدقة العين تنقبض بالضوء . مرهم الزئبق يشفي قمل الجفون . وهو أول من أجاد وصف منحنيات العمود الفقري ، وأول من كتب في طب الأطفال كتاباً مستقلاً ، وأول من أدخل الكيمياء في الأدوية ، وأول من قرن التهاب المثانة بالبول الدموي . ويعتبر الرازي حجة في الأمراض البولية والتناسلية فقد وصف ضيق المجرى واستحدث قسطرة لينة من الرصاص بدل البرونز اليابس ، وحقن مجرى البول وعالج التهابه بأدوية موضعية وأخرى عامة كما نفعل اليوم .

وقد فضح الرازي أساليب المحتالين وأدعياء الطب فقضى عليهم . وقد بلغ الرازي أوج المجد الطبي حين وصف الجدري والحصبة بدقة وإحاطة وصفاً بزرّ فيه السابقين واللاحقين ، وسلكه في عداد الخالدين .

وبعد ذلك بنصف قرن كتب على عباس موسوعة طب مماها « الكتاب الملكي » فصل فيه طب القرن العاشر ومن أروع ما قال : « حتم على طالب الطب أن يواظب على زيارة المرضى في المستشفيات والبيوت ، وأن يلاحظهم بصحبة أساتذة أعلام وأن يتابع شتى أعراضهم وأن يذكر ما قرأ عن أحوالهم وما تدل عليه من خير أو شر » . وقد نوه بالسكر طعاماً للأطفال ، وفرق بين ألبان البقر والنوق والضأن والماعز والخمير ، ولم ندرك نحن إلا أخيراً وبعد التحليل الكيميائي أن لبن الخمار أخف الألبان على معدة الإنسان . وقد قال غير مسبوق بل ومعارضاً ما كان معروفاً : « إن الوليد لا يخرج بنفسه إلى الدنيا وإنما يدفعه الرحم دفعاً » ولعله أشار إلى أنه يفضل دفء الرحم على برد الدنيا وهم الحياة .

ومن أطف آثاره علاجه للغرام والحب المبرح بالحمامات وركوب الخيل والرياضة



والاستمتاع بمنظر الحدائق والأزهار والأصوات العذبة الحافظة ونغمات الموسيقى ورواية القصص والأنباء السارة المثيرة ، وترك البطالة والكسل وبذل النشاط والعمل والخوض في المنازعات والمناقشات ، ونهضة الفرصة لحب نساء أخريات ! !

وأخيراً ظهر ابن سينا فحفظ القرآن وهو ابن العاشرة واستوعب العلوم والرياضيات والفلسفة والتاريخ الطبيعى ثم الطب ولم يجد لذلك عناء ، وكان يعالج المرض بلا أجر ابتغاء مرضاة الله ، وكثيراً ما كان يدع كتبه ومرضاه إذا حار في داء أو دواء لكي يخلو إلى نفسه في المسجد ؛ وما يزال يصلى ويتأمل حتى يفتح الله عليه ويشرح صدره بالحل الذى يرضيه .

وحين اكتمل علمه بشرح الفارابى لفلسفة أرسطو استخفه السرور كأنما حيزت له الدنيا بأسرها . ثم بدأ يطوف في البلاد وكان حليفاء المجد والموجدة بما صادف من نجاح وما أثار من حسد . عالج الملوك والأمراء وتقلب في النعمة والرخاء ، ثم قلب له الدهر ظهر المحن فسكابد الأحقاد وقاس كثيراً من الجفوة والجحود . وفي همدان عالج شمس الدولة من مناص آلمه فرفعه إلى الوزارة فدير أمرها نهارة وعكف على الدرس والتأليف ليله فكتب « القانون » وكانت حياته سلسلة متصلة من العمل والإنتاج والنعيم والشقاء ؛ كأنما كتب على الأفذاذ أن يبتلوا بصنوف الأذى ويمتحنوا بألوان البلاء .

ويمكن القول بأن « القانون » أعظم كتاب ظهر في عالم الطب ؛ فقد ضم أكثر من مليون كلمة ، وبقي على مر القرون مرجع الجامعات في أوروبا وآسيا . وقد كان ابن سينا أول من اتخذ القساطر من جلود الحيوان ، وحقن المثانة بمحقنة من الفضة ، وكشف أثر الطفولة في تكوين نوازع النفس البشرية .

وفي ظل الدولة الإسلامية وسماحتها تهيأت حرية الفكر حتى لفلسفة الملحدين وحرية العقيدة للأطباء من غير المسلمين ؛ وفي هذا الجو الصالح من حرية الفكر والعقيدة والسلام ازدهر الطب عند العرب فأضافوا وجددوا ومهدوا للخلف تراثا حافلاً بالمفاخر كالسبق في وصف الجدرى والحصبة والحزام وعلاج أمراض العين والطب النفساني وعلاج الجنون علاجا طبيعياً يوم حسبه الإفريج منسأ من الشياطين .

ولم يكن أطباء العرب يمارسون الطب للكسب والثراء ولكن للرحمة بالمرضى والضعفاء ، ولذة البحث والاستقصاء فقد تكفلت الدولة بأرزاقهم فعاالجوا المرضى بلا أجر ، ولم يقنعوا بطب الأقدمين ، بل بحثوا ودرسوا حتى نضج علمهم فألفوا الموسوعات التي زادت تراث الطب وزانته وصارت منارة الطب حتى مطلع العصور الحديثة .

وفي المشرق نظوى صفحة مشرقة من تاريخ الطب في كنف الإسلام وسماحته لنفتح في المغرب — فيما يلي — صفحة أخرى مشرقة بمجد الإسلام وأصالته .

# اللغة العربية في الباكستان والهند

( ماضيها وحاضرها ومستقبلها )

للأستاذ السيد مسعود الندوي

معمد دار العروبة للدعوة الإسلامية الباكستانية

قرأت غير مرة في المجلات العربية الصادرة في مختلف الأقطار أن دولة باكستان قد اتخذت اللغة العربية لغتها الرسمية وجعلت تدريسها في مدارسها الابتدائية والثانوية والعالية إجبارياً ، فأردت أن أصحح الخطأ الشائع وأكشف عن جلية الأمر ، وأبين الأمر الواقع لإخواننا العرب ، ثم أحججت عن ذلك رجاءً في تحسين الحال وأملأ في أن تنبؤاً لعة القرآن المحل الذي تستحقه من مدارس باكستان وكلياتها ومنتدياتها في مستقبل قريب . وما زلت في ذلك أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ؛ حتى اطلعت في مجلة المتمدن الإسلامي ، الصادرة في دمشق ( الجزءان ١٧ و ١٨ — شهر رمضان ١٣٧١ هـ ) على كلمة ممتعة للأستاذ الجليل ، مفخرة البلاد الشامية الشيخ محمد بهجة البيطار ، حفظه الله ، جاء فيها أن دولتنا « قررت أن تكون اللغة العربية لغتها الرسمية » ، وكذلك أشار إلى ذلك مراراً الأديب الأملى والعالم الجليل الأستاذ عبد الله كنون الحسنى في مجلة لسان الدين<sup>(١)</sup> ، الصادرة في تطوان ؛ فرأيت أنه لا يصح السكوت الآن ، ولا بد من بيان حقيقة الأمر . فأقول مستمداً من الله التوفيق ، متوخياً الإيجاز حسب ما استطعت .

فلا يخفى على القارىء المستبصر أن اللغة العربية لم يرتفع لها علم ، ولم تزدهر لها سوق في البلاد الهندية منذ فجر الإسلام إلى اليوم إلا في بعض الأقطار الساحلية التي كان يرتادها البحارون والتجار والعرب كبلاد مَلَبَّيَّارَ والسند ؛ وهاتان البقعتان هما اللتان دخل منهما الإسلام الهند أول ما دخل ، ولكنه بما يؤسف له أن سلطان العرب ونفوذهم فيها ما دام إلا قليلاً من الزمن . أما السند ، فقد عادت إلى ما كانت عليه من الجهل والتفهم ؛ ولا تزال أكثر بلاد باكستان تفهمراً في التعليم وتأخراً في الثقافة العامة .

(١) راجع ، مثلاً ، مجلة « لسان الدين » ، عددها الصادر في ٢٥ / ٨ / ١٣٧١ هـ .  
( العدد الخامس للسنة الخامسة ) .

ومع ذلك ، فاللغة السندية مشحونة بالمفردات العربية ؛ وهي اللغة الوحيدة من بين سائر لغات الهند وباكستان ، التي تكتب بالخط العربي المحض — أى النسخ — أما بلاد مليار ، الواقعة في الشاطئ الغربي الجنوبي من بلاد الهند ، فما زالت محتفظة ببقية باقية من الصبغة العربية مدى القرون المتطاولة ، وأهلها معروفون بالشهامة والبطولة وشدة الشكيمة ، مما لا نجد له نظيراً في مسلمي الأقطار الهندية الأخرى ، وكذلك لغتهم المليارية ( مَلِيَّالَمُ ) مليئة بالكلمات العربية كالأردية والسندية وتكتب بالخطين العربي والهندي . وهي اليوم في حوزة الحكومة الهندية ، ويعلم الله ما يؤول إليه أمر مسلميها النجباء ذوي الشهامة والحمة الدينية تحت حكومة غاشمة جائرة ، لا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمة .

أما الذين امتلكوا ناصية الأمر في هذه البلاد ، وحكموها ثمانية قرون من ملوك الأفغان والمغول فكانوا يتكلمون ويتعاملون بالتركية والفارسية . والذين جاءوا في عصرهم من العلماء من بلاد الإسلام كان معظمهم من بلاد ما وراء النهر ، لا يعرفون من العربية إلا أنها لغة القرآن يتبرك بها في المدارس والجوامع . والذين ألفوا منهم ودونوا باللغة العربية ، جاءت مؤلفاتهم ، كما قال شاعر النيل :

سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى لعاب الأفاعى في مسيل فرات  
جاءت كثوب ضم سبعين رفعة مشككة الألوان مختلفات

ومن هنا ترى أنه لم ينبغ من علماء الهند طوال القرون الماضية من يقدر على الكتابة باللغة الفصحى ، النقية من شوائب العجمة ، إلا نزرأ قليلاً ممن ارتادوا الأقطار العربية وأقاموا بها مدة من الزمن ثم رجعوا منها أو جعلوها موطناً لهم ثانياً كالمحدث اللاغوى الحسين بن حيدر الصنعاني ( ٥٧٥ - ٦٥٠ هـ ) والسيد مرتضى الزبيدي البلسكرامي ( المتوفى في القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ ) صاحب « تاج العروس » والشيخ علي المتقي البرهان پوری ( ٨٨٥ - ٩٧٥ هـ ) وأضرابهم ، إن كان لهم أضراب . ولعمر الحق أننا لم نجد أحداً من بين من نبغ وتخرج في البلاد الهندية نفسها ، يقدر على الكتابة العربية الناصعة غير الإمام ولي الله الدهلوي ( ١١١٤ - ١١٧٦ هـ ) صاحب حجة الله البالغة ؛ فإنه كان عبقرى زمانه ، ونظير نفسه ونسيج وحده في هذا الشأن ؛ وإن كان هو أيضاً ، رحمه الله ، كان قد تشرف بزيارة البلاد المقدسة وأقام بها أربعة عشر شهراً وأخذ عن علمائها .

ثم دار الزمان دورته وجاءت النهضة الحديثة العصرية بمصنفات أدباء العصر العباسي

الزاهر ، المدفونة في خزائن الشرق والغرب ، ومؤلفات جديدة لأعلام الأدب والفكر في مصر والشام ، فتأثرت بها الأذهان المتتورة ، وتفتقت القرائح واشترأت النفوس إلى الاغتراف من بحرها والارتواء من مناهلها . وكذلك أحدثت بوادر اليقظة العصرية روحاً في النفوس جديدة واستحثت كامن القوى واستنهضت خامد الهمم للعكوف على دراسة المطبوعات الحديثة المتنوعة والإقبال عليها برغبة وشوق ؛ فأول من نجد من بين علماء الهند ، جرى قلمه على الطريقة المصحى ، هو علم الهند وعالمها الشيخ شبلى النعماني ( ١٢٧٣ - ١٣٣٢ هـ ) ؛ وهذا كتابه « الانتقاد » ( لكتاب جرجى زيدان في تاريخ التمدن الإسلامى ) أصدق شاهد على ذلك ، وقد شهد له أخيراً بالتفوق في الكتابة الفنية أديب العربية الكبير ، الأستاذ الرحالة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي<sup>(١)</sup> . مما قوى رأينا وأيد ما نذهب إليه في هذا الشأن . ثم تأسست ندوة العلماء ودار علومها وانتدبت لتدريس اللغة العربية أساتذة من العرب بين آونة وأخرى ، حتى تخرج فيها لفيف من الكتاب ، أول ما يقال فيهم أنهم تذوقوا العربية تذوقاً صحيحاً ، ويكتبون بلغة سليمة ، لو كتب بها كاتب في بلاد العرب لما استحيا . وإن ننس ، لا ننس منهم أستاذنا العلامة المحقق السيد سليمان الندوى — أطال الله بقاءه — فإنه له أيادى ييضاً على اللغة العربية وطالبها في هذه الديار ، وكذلك نبغ في هذا العصر عدد من الأدباء بجهودهم ومساعدتهم كالأديب العالم المحقق عبد العزيز الميخنى الراجكوتى — أستاذ العربية في جامعة طلي كره — المعروف في بلاد العرب بمصنفاته ومؤلفاته ، والأستاذ عبد المجيد الحريرى الذى كان قنصلاً للحكومة الهندية في المملكة العربية السعودية منذ عهد قريب . وأيضاً تخرجت على يد أستاذنا اللغوى الأديب الدكتور محمد تقى الدين الهلالى المغربى — أستاذ اللغة العربية بدار العلوم الندوية قبل عشرين سنة — جماعة من الأدباء ذاع صيتهم واخترقت سمعهم أقطار الهند وباكستان أمثال الصديقين الجليلين الأستاذ السيد أبى الحسن على الندوى — معتمد ندوة العلماء بالهند — والأستاذ محمد ناظم الندوى — عميد الجامعة العباسية في بهاول پور (باكستان) —

هذه نبذة من ماضى اللغة العربية وشئ من حاضرها في بلاد الهند وباكستان . وغنى عن البيان أن هذه الفئة القليلة من الكتاب والأدباء لا تستطيع أن تروى الغليل أو تشفى العليل . وزد على ذلك أن المأهـد الدينية التى كانت تهتم بتدريس هذه

(١) صحيفة « البصائر » العدد ١٩٨ الصادر فى ٢٣ / ١١ / ١٣٧١ هـ .

اللغة السكريمة وتعنى بها عناية لا بأس بها كان معظمها في الأفطار التي أصبحت الآن جزءاً من الحكومة الهندية .

وأما بلادنا باكستان ، فلم تكن فيها مدرسة ولا كلية قبل الاستقلال تعنى بتدريس اللغة العربية وتقوم بهذا الواجب قياماً يستحق الذكر ، وكان المرجو من حكومتنا التي تعلن دائماً استمساكها بمبادئ الإسلام واعتصامها بمحبل الإسلام العالمية أن تهتم بهذا الجانب المهم من الثقافة الدينية وتجنّب أساتذة أكفاء من بلاد العرب ، يقومون بتدريس اللغة العربية في جميع المدارس والكتليات الكبيرة ، ولو أنها تقدمت بمشروع جرى واسع لتدريس هذه اللغة السكريمة ، لرحب به الشعب وأقبل عليه بكل شوق ورغبة لأنها اللغة التي يعبد بها ربه ، ويفهم بها أعز كتاب عليه . ومما لا بد من ذكره في هذا المقام أن في مقاطعة بنغال ، أو باكستان الشرقية ، جماعة من الساسة ، وأهل الأدب ، ينحازون إلى اتخاذ اللغة العربية لغة البلاد الرسمية . وذلك مما في قلوبهم من مودة على كون اللغة الأردية لغة البلاد الرسمية ولغة الشعب العامة . فإنهم يودون - أو يود بعضهم - أن تكون البنغالية أيضاً اللغة الرسمية بجانب الأردية . وغير خاف على أحد مافي ذلك من أسباب الشقاق والخلاف ؛ فالأردية هي لسان مسلمى الهند وباكستان القومى العام المشترك المعترف بها من بين جميع الطبقات . والخلاصة أن الذين ينادون من أهل بنغال باتخاذ العربية لغتهم الرسمية ، إنما ينادى بها معظمهم قضاءً على مكانة الأردية المرموقة ، لاحقاً في العربية أو غيره عليها .

نعم ! قد تأسست أيضاً في العاصمة جمعية العربية برئاسة السيد زاهد حسين - محافظ بنك الدولة - تسعى وراء نشر اللغة العربية وتبذل الجهود المستطاعة لتعميمها ، بتأسيس مدارس ليلية ، وإعداد دروس سهلة ميسورة ، تحجب إلى الناس دراسة العربية والإقبال عليها . والسيد حسين أيضاً قد أعلن ذات مرة عن رأيه باتخاذ العربية لغة البلاد الرسمية ، فهاج هائج المشتغلين بالأردية ، الساعين وراء إحلالها محل الصدارة من لغات باكستان . ثم سكنت العاصفة وظلت جمعية العربية تعمل على خطتها المرسومة وهي لا تزال دائبة على عملها الذي انتقته لنفسها . وجمعية العربية ساعية في تأسيس فروعها في سائر مدن باكستان الكبرى . وهي فاعلة إن شاء الله . وكاتب هذه السطور أيضاً يتشرف بعضوية لجنّتها التنفيذية ؛ ولذلك هو على معرفة تامة بمجهودها ومساعدتها . ومما ساعد جمعية العربية هذه على العمل والدأب على خطتها المرسومة



مؤازرة أهل العلم والأدب من ممثلي الدول العربية ومشاركتهم في ذلك فعلا ، أمثال الأساتذة الدكتور عبد الوهاب عزام ، والسيد عمر بهاء الدين الأميري ، والسيد عبد الحميد الخطيب ، وغيرهم من أعضاء الجالية العربية . وإن ننس فلا ننس الجهود العظيمة التي بذلها في هذا الشأن الأستاذ الأديب السيد عمر بهاء الدين الأميري ، حين وجوده في العاصمة ممثلا للحكومة السورية . ومن مساعيه الموقفة أنه جلب أستاذين من أحسن الأساتذة علما وأدبا وخلقا من سورية لتدريس اللغة العربية في كراتشي ولاهور ، وهما قائمان بوظيفتهما في هذه الأيام . وكذلك بلغنا أخيراً أن الأزهر قبل عشرة طلاب من باكستان على نفقتها ، ولعله قد تم بمساعي صديقنا الأجل الدكتور عبد الوهاب عزام ، وذلك قليل من فضله وغيرته على اللغة وحبه في نشر الثقافة في بلادنا ، والرجاء أن يتم على يده وعلى يد العالم الفاضل السيد عبد الحميد الخطيب ما تقرُّ به عين العروبة في هذه الأفطار وتثلج صدور الذين يودون من صميم قلوبهم أن تكون لغة القرآن مرفرفاً لواؤها فوق الكليات والجامعات . وكذلك في البلاد جمعيات أخرى تريد أن تقوم بنصيبها في تعميم اللغة العربية في هذه الديار ، إلا أنه يعوزها معلمون أكفاء .

هذه كلمات لم زبد بها أن نحيط بتاريخ العربية في هذه البلاد ، وإنما أردنا أن نلم بالموضوع المأما . والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

\*\*\*

و « المسلمون » ترجو أن يكون من وراء هذه الجهود ثمرتها المرجوة ، وتهيب بالحكومات العربية إلى الاهتمام باللغة العربية في الباكستان . وكل جهد يبذل في ذلك هو خطوة طيبة في سبيل توثيق عرى الأخوة في ذلك بين مئات الملايين من المسلمين .

### في محورهم

قصدا هدم سورها فبنوه وأتوا كي يقصروه فطالا  
واستجروا مكاييد الحرب حتى تركوها لها عليهم وبالا  
رب أمر أذاك لا تحمد القوم الـ فيه وتحمد الأفعالا

« المتنبي »

# مع العارفين

الإمام الممتحن : أحمد بن حنبل

(٦)

خرج أحمد من محنته ، وسما عن الحقد والضغينة ، فلم يذكر أحداً ممن أذوه بسوء ، وجعل كلا منهم في حل مما كان منه إلا أهل البدعة . . . قال له ابنه صالح في ذلك ، فقال : يا بني « وابعفوا وليصفحوا » ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك ؟ وقد قال تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » فإذا كان يوم القيامة ، وجئت الأمم بين يدي الله رب العالمين ، نودوا ليقم من كان أجره على الله ! فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا ؛ وإنى لأرجو أن أكون واحداً منهم . . !

في هذا الأفق الفسيح العالى كان أحمد رضى الله عنه يسبح بروحه وذهنه ، فهل كان خصومه بعد أن شفوا صدورهم بعذابه وآلامه وسجنه يذهبون هذا المذهب ؟ إنهم ما حسدوا أحمد على شيء حسدتم على هذه الحنة ، لآله صر على الضرب والسجن واستوجب مشيئة الله ، بل لأن ذكره طار كل مطار في الآفاق ؛ فالناس في أمصار الإسلام وأقطاره النائية معجبون بثباته ، وورعه ، وشجاعته ، وحفاظه على دين الله ؛ يتلقفون أخبار محنته في شغف وعطف وتأثر ، ويسمعون قصص تلك البطولة يرونها كل طارئ يطرأ عليهم من دار الخلافة في همس واستخفاء ولا يلبثون أن ينشئوا بها إلى مجالسهم وسمرهم فتكون زادهم من أحاديث السياسة والدين والعلم والموعظة ، حتى فشا ذكر أحمد وتعب الناس لرأيه في محنة خلق القرآن ، وحتى اضطر ولاية الأقاليم وأمراء الأمصار إلى اضطراد العلماء والزهاد ، وسجنهم وضربهم إذا لم يقرؤا بأن القرآن مخلوق . . . فاشتد الكرب بالناس ، واشتد تعصبهم معه لرأى أحمد ، واضطر كثير من العلماء والزهاد إلى الفرار والاستخفاء من وجه الظلم والحمة . . . ! أما بغداد عاصمة الملك . ومقر البطل الورع ، فلم يكن فيها قلب — فيما عدا قلوب أهل البدعة — إلا وسكنه أحمد . . . ولم يكن فيها نفس إلا والأمير عليها رأى أحمد ، ولم يكن فيها لسان ، أو دار ، أو مجلس ، أو ندوة إلا وذكر أحمد والثناء عليه والإعجاب به هو القربة التي يتقربون بها إلى الله جل شأنه . . .

نعم كان ذلك شأنه ببغداد ، لدى خاصة الناس وعامة على السواء . فهذا مجلس

من المجالس تذكر فيه مناقب أحمد فيقول يحيى بن معين : « لو جلسنا مجالسنا كلها  
ثنى على أحمد ما ذكرنا فضائله بكاملها » . . وهذا مجلس غيره يقول فيه إسحاق بن  
راهويه : « لولا أحمد بن حنبل ، وبذله نفسه لما بذلها له ، لذهب الإسلام » ، وهذا  
مجلس ثالث يقولون فيه لبشير بن الحارث وهو من هو : هلا تكلمت أيام ضرب أحمد  
ابن حنبل ! فيقول : أنا مروني أن أقوم مقام الأنبياء ؟ إن أحمد أدخل الكبر فخرج  
ذهبة حمراء ! » . . .

أما العامة من أهل بغداد ، فلا سيبل إلى تصوير سيطرة أحمد على قلوبهم ومشاعرهم ،  
ويكفي أن نعلم أنه بعد مرور مائة عام على المحنة كان الحنابلة هم المسيطرين على عامة  
شئون بغداد « يكبسون دور القواد والعامة ، فإن وجدوا نبذا أراقوه ، وإن وحدوا  
مغنية ضربوها ، وكسروا آلة الغناء ، واعترضوا في البيع والشراء ، وفي مشى الرجال  
مع العلمان الصغار . . . » كما يقول أبو الفداء في تاريخه .

... ذلك ذكره بين أهل الإسلام ، أما ذكره في سوامم والثقة به ، فحسبك منه  
ما كان يرويه نوح بن حبيب ، قال : كان عندنا - يعني في بلدكم - امرأتان مجوسيتان ،  
فاختصمتا في مواريث لهما إلى رجل من المسلمين ليقضى بينهما ؛ فقضى لواحدة منهما  
على الأخرى ، فقالت له الأخرى : « إن كنت قضيت على بقضاء أحمد بن حنبل فقد  
رضيت ، وإلا فإني لا أرضى » قال نوح فحدثت به أهل طرسوس والشامات .

لقد أراد خصومه أن يخفوا صوته ، ويطفئوا نوره ، فأبى الله ألا أن ينطلق هذا  
النور في الآفاق ، وأن يمتد موج هذا الصوت القوي إلى كل أذن وكل قلب ...  
وما سمى أحمد إلى شيء من ذلك وما كان له فيه من أرب ؛ فنفسه مشغولة بتحصيل  
حظها من الله ، متجردة لتنسيق خواطرها ومشاعرها مع مرضاته سبحانه ، أما ذلك  
الذكر الذي طار له في الآفاق ، وذلك الجاه الذي انعقد له في الناس ، فلم يكن له في  
نفسه من أثر ، فإن الالتفات إليه ، والتجاوب معه موجب للسقوط من عين الله .  
وما كان أحمد ليشتري الجاه عند الناس بالجاه عند الله ، ويجعل سلعته في ذلك دين الله  
جل جلاله ... إنها نفس تخلق في ملكوت رفيع لا يصل إليها فيه للناس همس أو  
ضجيج ... ومع ذلك هل سلم من دسائس خصومه وأذاهم ؟ !

لقد أزعجهم وأكل قلوبهم أن تكشف المحنة عن ميلاد عملاق لم يكن في حسابهم  
أن يولد ... فاجتمعوا بعد خروجه من سجنه وإبلاله من مرضه ومحتته ، ليروا  
رأيهم فيه ... !

ولم يفزعوا إلى المعتصم فيما يريدون ، فإنهم يعلمون عزوفه عن المشاركة في محنة جديدة ، ويعلمون أنه ما حمد الله على شيء قدر ما حمده على شفاء أحمد ؛ لما يرى في ذلك من استتباب ملكه وسكون رعيته من الفزع والثورة ... ولم يكن في مقدورهم أن ينالوا منه أو يفعلوا معه أكثر من التضييق عليه والحجر على حريته ، واعتقاله في داره ، لا يغشى سوقا ، ولا يلم بمجلس ، ولا يذهب لزيارة أحد من الناس ... بل لا يخرج لصلاة جمعة ولا لصلاة جماعة ؛ كل صلاته يؤديها في بيته .

لقد صورت حلومهم المذعورة ، وقلوبهم الطائشة الفزعة ، أن هناك خطراً يهدد جاههم ونفوذهم في الدولة إن اتصل هذا القديس بالجمهور واتصل الجمهور به ، فأدّاهم التآمر عليه إلى اعتقاله في داره على الصورة التي ذكرنا ، أو تحديد محل إقامته على ما جرى به التعبير في استعمالنا الحديث .

وكل المتآمرين تنفيذ قرارهم إلى إسحاق بن إبراهيم نائب (١) بغداد العنيد ، والمسامح في محنة الإمام بأوفى نصيب ، فأرسل إلى الإمام يأمره بالتزام داره ، لا يبرحها لصلاة جمعة ، ولا لصلاة جماعة ، ولا لما هو أجل من ذلك أو أقل .

وكان أحمد رضى الله عنه يزهد في غشيان المجالس ولا يجد في طبعه نشاطا إلى الإلمام بمجتمعات الناس ، فلم يزعمه قرار الاعتقال من هذه الوجهة ، لكنه ألم أشد الألم واغتم غاية الغم لحرمانه من المسجد ، وتحصيل ثواب الجمعة والجماعة ، والجلوس لدعوة الناس فيه إلى الله سبحانه .

وهكذا خرج أحمد من سجن الخليفة ، ليعانى محنة سجن آخر في بيته . . . . وامتدت المحنة بقية أيام المعتصم وتلتها أيام الواثق ، وكان شديد الوطأة على من لا يقول بخلق القرآن ، حتى قيل إنه طلب أن لا يساكنه أحمد بن حنبل في أرضه . . . . ومضت الأيام ثقيلة رهيبة ؛ ونجم المعتزلة في صعود ، ومحنة الإمام تستحکم وتشتد ، حتى انتهت أيام الواثق . . . . وحرار رجال الدولة فيمن يولون بعده فقام أحمد بن أبي دؤاد فسخر سلطان الدولة لمجد المعتزلة وألبس المتوكل حلة الخلافة ؛ وعممه ، وقبله بين عينيه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . . . . ومضت الأيام وتعاقبت السنين ، والإمام محتجز في داره لا يبرحها سبعة عشر عاما . . . . وكان المتوكل لا يرتاح للقول بخلق القرآن ، لكنه كان يكره على بن أبي طالب كرم الله وجهه — ويسرف في مطاردة العلويين — فنشط المعتزلة يحكيون دسائسهم لدى الخليفة ضد الإمام ، ويتهمون بالجنوح لشيعه على ،

(١) كان نائب بغداد تعادل في عرفنا الحالي كلمة محافظ .

وتتطور المحنة لتأخذ لونا جديداً آخر ، وتشتد الرقابة على الإمام ويرسل إليه نائب بغداد عبد الله بن إسحاق : الزم بيتك ولا تخرج وإلا نزل بك ما نزل بك في أيام والدي إسحاق بن إبراهيم . . . وامتدت أعناق أهل العترة ، فاتهموا الإمام لدى الخليفة أنه يؤوى في بيته أحد العلويين ذوى القدر الخطير . . . ويثور الخليفة ، فيرسل بفوره إلى نائب بغداد لمعاجاة بيت أحمد والقبض على العلوى المزعوم ١ .

وفي ليلة من الليالى ، بعد أن نام الناس ، وهدأت الحركات ، وأرخى الليل سدوله على بغداد المهائلة الساكنة سمع أحمد دقاً عنيفاً على باب داره ، فقام إلى الباب ففتحه ، فإذا به أمام رجلين وامرأتين .

أما الرجلان : فهما مظفر حاجب عبد الله بن إسحاق نائب بغداد ، والآخر ابن الكلبي صاحب البريد .

وأما المرأتان فهما هما هي مهمة البوليس النسوى في أيامنا هذه . . .

قال مظفر : يقول لك الأمير : إن أمير المؤمنين كتب إليه أن عندك طلبته .

وقال ابن الكلبي : نعم إنك تؤوى في بيتك علويًا من أعداء أمير المؤمنين وقد جئنا لأخذه .

فقال الإمام : إني لا أعرف هذا ، ولا أرى سوى طاعة أمير المؤمنين في العسر واليسر ، والنشط ، والمكره ، والأثرة .

وسكت الإمام قليلاً سكتة ذكر فيها حرمانه من المسجد بدون مسوغ ، واستأنف يقول : « إني أستأسف عن تأخرى عن الصلاة ، وعن حضور الجمعة ودعوة المسلمين .. »

قال ابن الكلبي : قد أمرنى أمير المؤمنين أن أحلفك ما عندك طلبته . . . أفتحلف ؟

قال أحمد : إن استحلقتى حلفت . . .

فأحلفه ابن الكلبي بالله خلف . . . وبالطلاق خلف . . .

وكان نساء الدار والصبيان قد حضروا . . . وحضر ابنه صالح أبو الفضل . . . فقال

ابن الكلبي :

أريد أن أفتش منزلك . . . ونظر إلى أبي الفضل وقال ومنزل ابنك .

وقام مظفر وابن الكلبي ففتشا البيت . . . وفتشت المرأتان النساء ، فلم يعثروا

على شيء .

وفتشا بيت أبي الفضل ، فلم يجدوا شيئاً . . .

وفتشت المرأتان أما كن الحريم . . . وجاءوا بشمعة فأدلوها في البئر ، وانصرفوا

بعد أن لم يجدوا شيئاً .



وتولى ابن الكلبي وصف حال الإمام من احتباسه عن الجمعة والجماعة بدون مسوغ ،  
ومن صدق لهجته فيما يكن لأمر المؤمنين من السمع والطاعة في المنشط والمكره ...  
ومن برأته مما عزاه إليه خصومه ...

وأذن الله بانكشاف النعمة فجاءه بعد يومين كتاب من علي بن الجهم : « إن  
أمر المؤمنين قد صح عنده برأتك مما قذفت به ، وكان أهل البدع قد مدوا أعناقهم ،  
فالحمد لله الذي لم يشحنهم بك » .

وأقبلت الخلافة على الإمام تخطب وده ، وتطلب المؤانسة بقربه ، والتبراء بدعائه ...  
وأخذت الأيام تدبر مولية بمجد المعتزلة ... فرض ابن أبي دؤاد بالفالج ... وجاء  
بعض أعيان الدولة يتقربون إلى الإمام بذكر منازل بابن أبي دؤاد ، ويومثون إلى أن  
كرامة الإمام على الله أوجبت ذلك القصاص .. فلم يلتفت إليهم أحمد ، وصحت ولم يرد ،  
وظهر عليه التبرم بما قالوا ...

وأضمت الأيام في إدارها عن المعتزلة ، فغضب الخليفة على ابن أبي دؤاد وقبض  
على أبنائه ، وصادر أملاكه وأمواله وجواهره ، وأخذ ابن أبي دؤاد إلى بغداد  
بعد أن أشهد عليه ببيع ضياعه .. فكان يأتيه من يحمل إليه تلك الأنباء فيكرم  
نفسه أن تنزل إلى مستوى الشماخة الرخيصة ، بل كان الخليفة نفسه يرسل إليه كأنه  
يستفتيه فيما يرى من مصير أموال ابن أبي دؤاد ، فكان يسكت ولا يجيب بشيء ...  
وهو موقف جدير أن يلقي على الناس دروساً في عظمة النفس ، وشدة الإقبال على  
جلائل الأمور ، والانصراف عن سفاسفها وتافهها ... رحم الله الإمام ، لقد كان  
إماماً في كل مكرمة ١ .

وبعد فهل سعدت حال الإمام بإقبال الخلافة على وده ، وطلب المؤانسة بقربة ؟  
قد يقول كثير من الناس نعم . . . ولكن أحمد يقول : لا إنها محنة الدنيا ابتلى  
بها بعد محنة الدين ١١

فكيف كان ذلك . ؟

« يتبع »

فإياك والأمر الذي إن توسعت      موارده ضاقت عليك المصادر  
فما حسن أن يعذر المرء نفسه      وليس له من سائر الناس عاذر

## ولكن الله رمى ...

كانت فرحة رائعة مرت في قلوبنا — ونحن مكبون على تدقيق  
أوراق الامتحانات في حلب — عند ما أذيع خبر الانقلاب  
المصرى المبارك ، ثم خبر إخراج الطاغية من مصر ..  
وتساءل أحد زملاء : كيف قضى المخلوع ليلته في «المحرسة»  
وهو لا يعلم وجهته ؟ ... فكانت الآيات التالية جواب هذا  
التساؤل ..

( م م )

قُلْ لِلَّهِ أَنْتَجَ كِبَادَهُمْ أَنْ يَلْفِظَ الطَّاغُوتَ مَعْنَاهُ  
لَا تَسْأَلُوا كَيْفَ قَضَى لَيْلَهُ وَهُوَ مَسُوقٌ نَحْوَ مَنَافَاهُ ..  
فَقَدْ كَفَى وَحْشَتُهُ مُؤَنِّسًا فِي الْبَحْرِ أَشْبَاحَ ضَحَايَاهُ  
تِلْكَ الدَّمَاءُ الْعَابِقَاتُ الشَّدَى لَمْ يَنْسَهَا اللَّهُ ، وَحَاشَاهُ  
مَا زَالَ مِنْهُمْ بِأَظْفَارِهِ شَوَاهِدٌ تَرَوِي خَطَايَاهُ ..  
... يَا نَاطِرَ « الْبِنَاءِ » لَو تَبَصَّرَ ... الذَّبِيلَ ، وَقَدْ ضَاعَتْ حَنَايَاهُ  
إِذْ لِبَارِكَةٍ يَدًا طَهَّرَتْ مِنْ رَجَسِ ( فَارُوقَ ) مَحْيَاهُ  
إِنْ الْغَدَّ الَّذِي سَقَى غُرْسَهُ دَمُ الشَّهِيدِ طَابَ مَجْنَاهُ  
رَفَّتْ عَلَى مِصْرَ بَوَاكِيهِ وَهَزَّتِ الْمَشْرِقَ بُشْرَاهُ  
فَلْيَهْنَأِ الْعَالَمُ ... إِنْ سَنَّا ... الْقُرْآنَ قَدْ أَوْشَكَ يَغْشَاهُ

\*\*\*

نجيب ! .. ما أنت الذي قد رمى هيهات ! .. ابن الرامي الله

محمد مجزوب

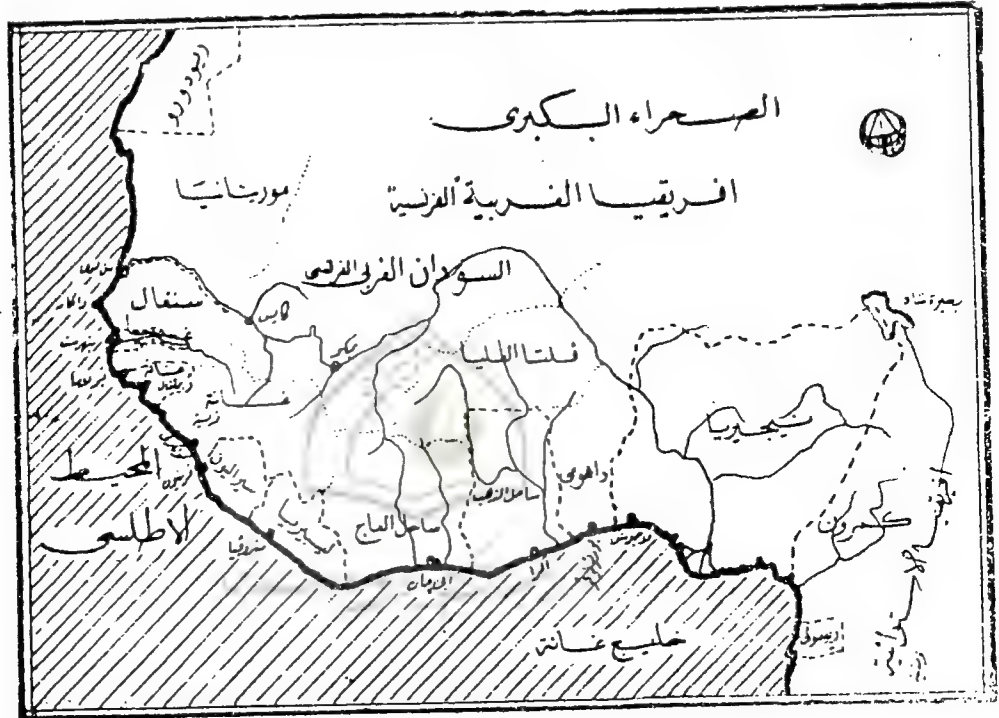
طرطوس — سوريا

# السنغال المسلمة

لقد كان اسم السنغال مقتصرأً بعرف أهل البلاد هناك على المراكز الأربعة التالية :

(١) سانلوي (٢) دكار (٣) زوفيسك (٤) كيبس

ومساحتها لا تزيد على ٢٠٠ كيلو متر مربع . ثم أضيف إليها بعد الاحتلال الفرنسي مقاطعات ( قوت ) و ( جلوف ) و ( بند ) و ( كاساس ) حتى حدود نهر (فلي) إضافة كلية حتى غدت من السنغال . وهناك مقاطعات أخرى داخلة في نطاقها مع أنها مستقلة استقلالاً داخلياً وهذه المقاطعات هي :



سانلوي	وعاصمتها	موريتانيا
بامكو	»	السودان الفرنسي
كوناكري	»	غانة الفرنسية
أبيجان	»	ساحل العاج
وغادجو	»	قلتا العليا
مياي	»	نيجر الفرنسي

ولسكن من هذه المقاطعات حاكم مستقل ، وفي كل مركز من مراكزها مدير ، وعلى رأسهم الحاكم العام المقيم بدكار

أما عدد السكان فيصل ستة ملايين نسمة ، نسبة المسلمين فيهم ٨٠٪ ، ونسبة المسيحيين ٢٠٪ .

ثروة السنغال الطبيعية :

تعد بلاد السنغال من أغنى بقاع العالم وإن كان ذلك لا يبدو على أهلها كما عهد في كل من عانت في أرضهم يد الاستعمار .

وأهم الحاصلات في بلاد السنغال الفول السوداني ، وسائر أنواع الثمار عدا الكثرى والتفاح ،

وتسخر ج فيها أصناف الزيوت النباتية عدا زيت الزيتون ، وتجلب إليها شتى أنواع البضائع الغريبة بطريق المحيط الأطلسي .

والسودان الفرنسي ينتج نفس الحاصلات ، ويفوق السنغال بالعناية في زراعة الثمار والحبوب واستخراج الذهب .

وكذلك حاصلات غانة الفرنسية مع زيادة زراعة المطاط ووفرة معادن الذهب .

وساحل العاج كذلك مع زيادة السكاكو والحشب والقوررو ( وهو شجر عظيم يستعمل ورقه كما يستعمل الدخان ويضع كما يضع الفات في اليمن ) .

أما ( فلتن العليا ) فغالبا محصولها الحبوب وزيت النخيل والمواشي .

وأهم ما تنتجه ( مرتانيا ) الصمغ والمواشي .

و( نيجر الفرنسي ) أهم محصول فيها الفول السوداني ، ولصناعة الحصر أثر كبير في اقتصادياتها .

وقصارى القول إن في عواصم هذه البلاد ما في العواصم المصرية من التمدن الغربي والعمل الفني ،

إلا أن أبنيتها لا يزيد أعلاها على تسعة أدوار ، ولا يستعمل الترام في مواصلاتها .

أما ما ينقصها ، وكفى به نقصاً حيث أنها بلاد مسلمة بعددها العديد ، فهو الثقافة العربية الإسلامية .

### الاحتلال الفرنسي :

يرجع تاريخ الاحتلال الفرنسي في السنغال إلى زمن بعيد ، فقد اتصلوا بسان لويس قبل زوال الدولة العربية في الأندلس بمحوالى ٢٠٠ سنة بحجة التجارة ، شأن سائر الدول المستعمرة ، فكانوا يوغلون في نهر السنغال بقواربهم الخشبية تحمل السكر والأقمشة ، ويدفمون الأتاوة لكل قرية يصادفونها في طريقهم ، ولقد كان هؤلاء الرواد بتجاراتهم جواسيس وطلائع مهدت للاحتلال الاستعماري الذي قامت به فرنسا سنة ١٨٦٨ م — ١٢٨٧ هـ ففتزت البلاد واستولت عليها .

### التعليم :

لم يزل التعليم الديني فيها قبل عهد الاستعمار وأثناءه طفيفاً ، وإذا قرأوا القرآن فإنما يكون ذلك تلاوة من غير فهم لجهلهم بالعربية ، وقد يصيبون بعض المعرفة في الفقه بمثل رسالة أبي زيد القيرواني وكتاب الخليل بن أحمد .

ومنذ احتل الفرنسيون البلاد أنشأوا مدارسهم في أنحائها ، وجعلوا التعليم بها إجبارياً حتى كاد يقضى على التعليم الديني على ضآلته .

واستمرت الحال كذلك مدة ثلاث وسبعين سنة ، حتى عاد الأستاذ الحاج محمود بن عمر الفتوى السنغالي سنة ١٣٠٩ هـ ( ١٩٤٠ م ) متخرجاً في معاهد مكة المكرمة ، فأنشأ فيها مدرسة أولية ما لبثت أن تفرعت إلى أربعة عشر فرعاً ببرامج علمية وثقافية عربية إسلامية . وقد أقبل أهل البلاد على هذه المدارس إقبالا عظيماً حتى بلغ عدد طلابها ٣٥٠٠ تلميذاً ، وصلت القاهرة منهم البعثة الأولى مؤلفة من اثني عشر طالباً يحملون شهادات تلك المدارس الابتدائية وانسبوا لمعاهد الأزهر هذا العام .

### التبشير المسيحي :

لم يصب التبشير المسيحي نجاحاً في معظم مقاطعات السنغال ، وقد لقي بعض النجاح حيث تغلب المجوسية في السكان ، وذلك بالرغم مما ينفق من الأموال الطائلة في هذا السبيل حيث يقدر بنحو خمسة وعشرين مليون فرنك في كل مقاطعة سنوياً .

أما تلك المدارس التي أنشئت أخيراً ، فإنها بالرغم من أنها لا تجد معيماً أو مؤازراً سواء في المادة أو الثقافة ، إذ أنها قامت بعمل رجل فرد هو الحاج محمود القوتى ، فقد نجحت نجاحاً يستلفت النظر ، ويدل على أنه لو تبسر لهذه المدارس عشر معشار ما يقدق على معاهد التبشير لأنت بأينع الثمرات .

#### اللغات في السنغال :

اللغة السائدة في السنغال هي الفرنسية ، وهي اللغة الرسمية الوحيدة ولا ينافسها لسان آخر . أما العربية هناك فهي مدونة وحسب ولا تستعمل في التخاطب إلا نادراً في جميع المقامات غذا ( موتان ) فلسان أهلها هربي في التخاطب والكتابة .

وهناك لغات أخرى عديدة كالفلانية والولفية والبيرية والسرغلية وغيرها زهاء ٤٠ لغة كلها ميتة لعدم الكتابة بها .

ولقد كان للمدارس العربية الحديثة التي ذكرنا عنها آنفاً فضل كبير في نشر اللغة العربية في البلاد ، ونرجو لهذه المدارس نجاحاً وانتشاراً يمكن للغة القرآن ودين الإسلام في هذا القطر الإسلامي .

#### القوانين :

تحكم بلاد السنغال بالنظام المهود في سائر البلاد المستعمرة استعماراً مباشراً ، حيث تعطل الشريعة الإسلامية فيما عدا الميراث والنكاح ، ويستعاض عنها بقوانين الاستعمار ، ويبني بعضها على أساس من عرف البلاد وعاداتها .

#### أمل السنغال :

والمسلمون في السنغال اليوم يمدون يدهم مستعينين بالبلاد الإسلامية لتقدم لهم وسعها من المؤازرة التي تمكنهم من نشر لغة القرآن في أبنائهم وتفرس قلوبهم ثقافة الإسلام الحنيف حتى يسير ذلك القطر الإسلامي في ركب النهضة الإسلامية بعد أن نسيه المسلمون دهرأ طويلاً .  
والمأمول أن يستجيب الأزهر الشريف لمطالب إخواننا في السنغال ، وأن نحسن استقبال هؤلاء الساعين إلينا من بعيد بعد أن تجشموا ما تجشموا ابتغاء وجه الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« طوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى تنجلي عندهم كل فتنة ظلماء » .

« رواه أبو نعيم عن ثوبان »



# في أفق العالم الإسلامي

## التعويضات الألمانية لإسرائيل :

نكتب هذا واللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مجتمعة في القاهرة ، ولم يسفر اجتماعها الأول القصير عن انجاء جديد بشأن مشكلة التعويضات الألمانية لإسرائيل ، واعتبرت هذه الجلسة بمثابة عرض عام لاتفاق التعويضات والراحل التي انتهى عندها البحث مع السفير الألماني في القاهرة ، وجاء فيما نشر أن وزير الخارجية المصرية « حرص » على عدم التعرض لأي اقتراح ألماني جديد ، واكتفى الأعضاء بدراسة موقف الدول العربية من الوفد الألماني الرسمي الذي ينتظر وصوله قريباً ، وما إذا كانت المفاوضات تجري مع هذا الوفد في القاهرة أم تجري كل حكومة عربية مباحثاتها مع الوفد في ضوء الخطوات الرئيسية التي تضعها اللجنة السياسية وما يتطلبه هذا الأمر من ضرورة إسناد المفاوضة للاختصاصيين نظراً لأهمية الموضوع وخطورته .

وقد سبق للجنة السياسية في اجتماعها الماضي أن أشارت بتأليف وفد عربي موحد لمباحثة الوفد الألماني ، وقد تم فعلاً تأليف هذا الوفد وأحييت الدول العربية علماء بأسماء أعضائه ، كما رؤى أن تكون المباحثات في القاهرة . وقيل إن المعروف رسمياً أن في مقدمة أهداف الوفد الألماني الذي سيصل إلى القاهرة قريباً هو عقد اتفاقات اقتصادية مع الدول العربية بدون الدخول في التفاصيل الخاصة بعدادول ألمانيا عن عقد اتفاق التعويضات مع إسرائيل ؛ كما قيل إن اللجنة ستجتمع لمعاودة البحث في الموضوع ومناقشة الخطوات التي يجب اتخاذها حتى لا يصدق البرلمان الألماني على الاتفاق . وصرح مصدر مسئول حين سئل عما إذا كان تعديل طراً أو سيطراً على موقف الدول العربية من القرارات السابقة للجنة السياسية في حالة تصديق البرلمان الألماني على اتفاق التعويضات بقوله : إن موقف الدول العربية كما هو .

\*\*\*

لسنا ندري ما سيكون من أمر اتفاقية التعويضات في البرلمان الألماني ، ولا ماستنتهى إليه اللجنة السياسية في اجتماعاتها ، ولكن الذي نستغربه هو ما يفهم من سياق ما أذيع ونشر من احتمال أن تغير اللجنة موقفها ، وهو أمر خطير ما كان يخطر لنا على بال بعد أن صرح الرئيس اللواء محمد نجيب بتصريحاته القوية المشرفة معلناً الإصرار الكامل على مقاطعة ألمانيا إذا دفعت هذه التعويضات لإسرائيل ، وتواتت بعد ذلك تصريحات زعماء العرب بهذا المعنى ؛ فالتراجع بعد ذلك طعنة قاسية لكرامة العرب ، وخيبة مرة في العهد الجديد الذي أملناه للجامعة العربية بعد حركة الجيش المصري ، ثم إن هذا التراجع يمرض فلسطين والعرب لخطر لا يقل عن خطر الهدنة ، فإن موافقة ألمانيا الغربية على مبدأ التعويض لليهود سيكون سابقة دولية خطيرة ، فإن السلطات اليهودية بفلسطين وسائر الهيئات اليهودية تعزم أن تجعل من هذه الاتفاقية سابقة تطالب على أساسها النمسا وهنغاريا وإيطاليا ويوغوسلافيا وهولندا والنرويج وبلغاريا ورومانيا وبولونيا وغيرها من الدول التي يدعى اليهود أنهم اضطهدوا فيها أثناء الحرب الماضية ؛ وبمجموع التعويضات التي تطالب بها السلطة اليهودية بفلسطين هذه الدول يبلغ من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ مليون جنيه ، ووصول هذه

المبالغ الطائلة لإسرائيل يصبح معه الحصار الاقتصادي العربي المضروب عليها عديم الجدوى ، ويشند به ساعدها اشتداداً مخيفاً ، فإنه من الواضح أن هذه المبالغ لا يقصد منها إلا تقوية إسرائيل من الوجهتين العسكرية والاقتصادية ، وقوة إسرائيل التي قامت على العدوان خطر يهدد العرب والمسلمين جميعاً ، وستحمل مصر بوجه خاص العبء الكبير من هذا الخطر في معركة قادمة لا ريب فيها .

لحزى بها أن تكون أحرم على الاستمساك بقرار اللجنة السياسية السابق والألا تسمع أبداً بالتراجع فيه ، وأن يؤمن أولو الأمر فيها وفي الأقطار العربية جميعاً أن الحلولة دون وصول هذه المبالغ الهائلة لإسرائيل ، على الأقل من الدول الأوروبية غير ألمانيا الغربية إذا أصرت هذه على موقفها ، لا يكافئه أبداً ما قد تفرى به ألمانيا الدول العربية من عروض بحزمة أوفراى ؛ وإصرار ألمانيا أمر مشكوك فيه لأن الشعب الألماني يبغيض اليهود ، وهو في هذه الاتفاقية مغلوب على أمره من سلطان أدناور والنفوذ الأمريكي عليه ، والانتخابات في ألمانيا ستجرى بعد ثلاثة أشهر ، وقد يتخذ الشعب فيها موقفاً لصالحنا إذا أصررنا على المقاطعة التي تحرمه من أسواقه الرئيسية — وخاصة أنه قد دفع من قبل تعويضاً مالياً وافياً لليهود الذين كانوا في ألمانيا الغربية عن ممتلكاتهم ومقداره ثلاثة عشر ملياراً ونصف مليار مارك وذلك بموجب قانون التعويض رقم ٩٥ الصادر في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧ الذي أصدره الجنرال كلاي الحاكم العسكري الأمريكي ( اليهودي ) .

\*\*\*

أضف إلى كل ذلك أن التعويضات الألمانية لا تمر لها من لوجهة القانونية على الإطلاق ، فإن اليهود الذين أصابهم الاضطهاد النازي وهاجروا من ألمانيا لم يكونوا رعايا إسرائيل التي جاءت من بعد ، فعلى أى أساس تطالب هذه بالتعويض ؟ ثم إن الذين هاجروا من اليهود إلى فلسطين خلال الحكم النازي قد سمح لهم بتصفية أموالهم وممتلكاتهم وإخراج بضائع بأثمانها ؛ فليس للسألة إذاً أى مسوغ قانوني ، ولكنها مؤامرة سياسية دبرها الأنجلو أمريكي ليضربوا بها الدول العربية والعالم الإسلامي وليتولوا بها حضانة الطفل المدلل « إسرائيل » الذي ولد في حجرهم ونشأ على أيديهم ، وصدق الله العظيم « لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » .

### الدستور المصري الجديد :

صدر المرسوم بتشكيل لجنة الدستور المصري الجديد ، والذي يطالع أسماء أعضائها يجدون ذوى اتجاهات كثيرة لا يمكن أن تجمعها وحده تنبؤ عن طبيعة الدستور الجديد ، وقد اشترك في اللجنة أربعة من الإخوان المسلمين ليؤدوا واجبهم في التذكير بحق الإسلام وتوجيه اللجنة إلى التزام أحكامه التي تدين بها السكينة الغالبة من أبناء مصر والتي تكفل العدل الكامل لغير المسلم والمسلم على السواء ونحن ندعو الله أن يوفقهم ومن آمن ليعانهم في توجيه اللجنة هذه الوجهة الطيبة ، ونرجوا ألا يتجملوا بحال أمام الله والناس مسؤولية دستور لا يقوم على هذا الأساس .

## أخبار متفرقة

- في رسالة وردتنا من المغرب أن شراسة فرنسا قد بلغت غايتها بهجوم قوة مسلحة من الفرنسيين على مسجد الرباط واعتقال ثمانمائة مغربي من المصلين فيه ، وأن السكان المدنيين من الفرنسيين اشتركوا في قتل العزل من المسلمين ، وأن التعذيب في السجون والمعتقلات ، وسائر أعمال الفرنسيين الوحشية تذكر بما فعله أسلافهم بالمسلمين في الحروب الصليبية .
- اجتمع عدد من أفراد الجالية الأوربية في كينيا وقرروا تأليف « اتحاد حماية كينيا » وقد عبرت الجالية الأوربية عن اعتقادها الجازم بأنه لن يسود كينيا السلام إلا إذا رفعت إدارة المستعمرات في لندن يدها عن كينيا .
- قال رئيس تشيكوسلوفاكيا « كايماث جوتوالد » إن جميع الهيئات الصهيونية قد أصبحت خلايا للجاناسوسية منذ إنشاء دولة إسرائيل .
- ألقى السيد خان عبد القيوم خان رئيس وزارة ولاية شمال غربي الباكستان خطاباً قال فيه : إن الإسلام أساس الوحدة ، إذ يؤلف بين جميع الطبقات في أي قطر إسلامي على الرغم مما قد يكون بين هذه الطبقات من تفاوت من ناحية العلم والثقافة وغير ذلك ، ولهذا يتعين على البلاد الإسلامية أن تضع دستوراً وفقاً لأحكام الدين ، ثم قال : إن الولايات الخمس التي تتألف منها دولة الباكستان قد تفصل بينها مسافات شاسعة وتختلف لغاتها والثقافات السائدة فيها ولكن تؤلف بينها رابطة الإسلام القوية التي دفعتها إلى إنشاء وطن موحد .
- جاء في تقرير تلقاه المسئولون في مصر أن السلطات البريطانية في القناة قد أرسلت في يوم ٢٣ ديسمبر إلى تل أبيب حوالي ١٥ طائرة من حاملات الجنود لإحضار فرق تميلية وفرق ( باليه ) للترفيه عن الجنود الإنجليز في منطقة القناة في عيد الميلاد ورأس السنة ، كما قامت الطائرات بنقل حوالي ٢٢٠ ضابطاً إلى تل أبيب لقضاء ليلة عيد الميلاد هناك .
- رفضت حكومة طهران الاعتراف بالديانة البهائية اعترافاً رسمياً ، وقد أرسلت إلى « خطبة القدس » — وهو المقر الرئيسي للبهائيين — خطاباً بهذا المعنى .
- وافق مجلس النواب اللبناني على دعوة الحكومة إلى اتخاذ التدابير اللازمة لإلغاء ( الطائفية ) في لبنان من قانون الانتخاب ، وعلم أن المجلس سيعمل على إقرار قانون مدني واحد لجميع اللبنانيين على اختلاف طوائفهم وإلغاء قوانين ( الأحوال الشخصية ) الحالية و ( المحاكم الشرعية ) والمالية !!
- يفكر الأزهر في إيفاد بعثة تبشيرية إلى ألمانيا .
- يتوقع رجال الأعمال البريطانيون أن يضرب العراق في إنتاج البترول رقفاً قياسياً يفوق إنتاج إيران .. وذلك بعد عامين فقط .

• نشرت صحيفة « أخبار الكنيسة » في نيويورك تحقيقاً صحفياً عن مدى تدين كل من المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة جاء فيه أن ستيقسون قال : « أنا من الموحدين ، وفي اعتقادي أن الدين هو المنبع الأول للوطنية العظمى ، وهو الوقاية من الفساد والانحلال السائد في هذا الجليل ، ولاشك في أن المواطنين يتوقعون من المسؤولين الكبار أن يكونوا مثلاً يحتذى في الخلق الطيب والعقيدة الصحيحة بما يتفق والتبعات العظمى التي يضطلمون تحملها » .

وأجاب الرئيس ليننهاور بقوله : عقيدتي ( بروتستنتي ) ثم مضى يقول : « ولا يمكن أن تعرف للحكومة الحرة وجوداً بغير الدين . الدين الذي يخلق الرجال الأحرار الذين لا يخشون أحداً في تصرفاتهم إلا مراقبة الله القادر على كل شيء . . . وهكذا إذا كان الحاكمون أحراراً — لتدينهم — فإن المحكومين سيكونون أكثر تحزراً لأنهم يجدون مزيداً من الوقت لعبادتهم أو لحرمتهم » .

• بلغ إحصاء الوفيات في الحوادث الناجمة عن احتفالات ليلة عيد الميلاد في أنحاء الولايات المتحدة ( ٢٣٩ ) قتيلًا .

• أنشأت جمعية العلماء التي أسسها العلامة الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي في الجزائر فرعاً لها بالقاهرة .

• كان من أعمال مؤتمر « اتحاد كنائس المسيح » الذي يضم ٢٥ هيئة بروتستانتية و ٤ هيئات أورتودوكسية شرقية والذي انعقد مؤخراً ، أن انظم مع ستوديوهات نيويورك وهوليوود خطة لإخراج أفلام ومسرحيات عن الديانة المسيحية .  
وجاء في تقريره أنه صدر للتوزيع على المحتاجين في أوروبا وآسيا وإفريقيا . . أحد عشر مليون رطل من الغذاء وأربعة ملايين رطل من الكساء ، ومواد تموينية أخرى ، وأنه نفذ برنامج إرسال الوعاظ إلى القوات المحاربة خارج الولايات المتحدة ، وقد بلغ عدد الوعاظ ١٧٥ خلال العام الماضي .

• يفادر القاهرة هذا الشهر رئيس تحرير « المسلمون » في جولة بالأقطار الإسلامية في الشرقين الأوسط والأقصى ، يتصل خلالها بالحركات الإسلامية في هذه الأقطار .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## محتويات هذا العدد

صفحة	
١	قصص القرآن : آدم عليه السلام ... للأستاذ البهي الحولي ...
٩	من علوم السنة ... لفضية الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ...
١٢	الربا ... لفضية الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة ...
١٩	الدستور الإسلامي ... للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي ...
٢٦	المثل الإنساني الأعلى ... لأبي نعمان المهاجر ...
٢٩	ثروة الإسلام الفقهية ... لفضية الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا ...
٣٧	خاطرة : باب وباب ... للتحرير ...
٣٨	من فقه القرآن والسنة ... للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ...
٤٣	كيف نستوحى الإسلام ... للأستاذ سيد قطب ...
٥١	التشريع الجنائي الإسلامي ... للأستاذ عبد القادر عوده ...
٥٦	إذا هبت ريح الإيمان ... لسماحة السيد أبي الحسن الندوي ...
٦١	ندوتنا ... للتحرير ...
٦٥	ثورة الفلاح المصري المسلم ... للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ...
٧١	سعر الفائدة والربا ... للأستاذ محمود أبو السعود ...
٧٧	باب السكتب : نقد وتعريف ...
٨١	الطبيب عند القدماء ... للأستاذ ميرلاي الدكتور أحمد الناقية ...
٨٦	اللغة العربية في باكستان والهند ... لسماحة السيد مسعود الندوي ...
٩١	مع العارفين : أحمد بن حنبل ...
٩٦	ولكن الله رمى ( شعر ) ... للأستاذ محمد مجذوب ...
٩٧	السنغال المسلمة ... للتحرير ...
١٠٠	في أفق العالم الإسلامي ... للتحرير ...
١٠٤	الفهرس ...